إثبات عذاب القبر ونعيمه

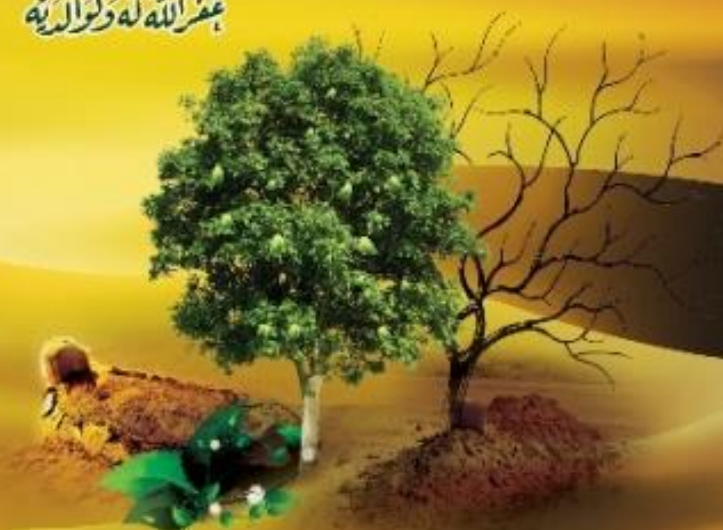
من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة

(مع ردٍّ لأبرز شبهات النافين، وبيانِ أنَّ السُّنَّةَ مُبيِّنَةٌ للقرآن)

تأليف

أبي المنذر عمار بن عبد الجليل الحوباني

غفر الله له ولوالديه



دار الإمام الشافعي

للطباعة والنشر والتوزيع

اليمن - عدن



الشريف للطباعة
تفريغ صف تنسيق مراجعة إخراج
772006613 - 779555171 - 730688229

الطبعة الأولى
١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

دار الإمام الشافعي للطباعة والنشر والتوزيع
اليمن - عدن
الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف فندق الريان
+٩٦٧ ٧٧٤٤٢٧٥٧٢ - +٩٦٧ ٧٣٦٩٠١٨٢٤
حضرموت الحامي - جوار مسجد أنور - الشارع الشرقي من النادي
+٩٦٧ ٠٥٣٤١٥٩٨ - +٩٦٧ ٧٧٧٣٤٩٥٢٣
alshafibooks@gmail.com

إِثْبَاتُ

عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ

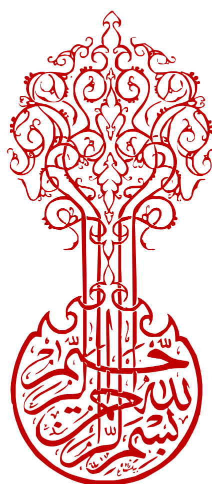
مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَقْوَالِ الأَئِمَّةِ

(مَعَ رَدٍّ لِأَبْرَزِ شُبُهَاتِ النَّافِيْنَ، وَبَيَانِ أَنَّ السُّنَّةَ مُبَيِّنَةٌ لِلْقُرْآنِ)

تأليف

أبي المنذر عمّار بن عبد الجليل الحوباني

غفر الله له ولوالديه



مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإنه لمن دواعي الاهتمام بالدعوة إلى العقيدة الصحيحة وتصحيحِها للناس في هذه الأزمنة المتأخرة ما نراه يَروجُ بين المسلمين من العقائد الفاسدة، والمناهج الهدامة، التي لا تَمُتُّ إلى دين الإسلام بِصِلة، ولا تصبُّ في مصبِّ الفطرة السليمة النقية من كل شائبة!

وإن من مسائل العقيدة التي قرَّرها شرعنا المطهَّر في كتاب ربنا تعالى، وفي سنة نبيِّنا محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، وآمن بها سلفنا الصالح -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- دون أدنى تردد منهم مسألة: **التصديق بنعيم القبر وعذابه.**

وهذا التصديق مندرج تحت مسألة الإيمان بالغيب، ومسألة الإيمان باليوم الآخر، إنما يكون في تلك الحفرة الضيقة وما يدور فيها من علم الغيب ومن أمور الآخرة التي اختص الله بعلمها، وأخبرنا عن بعض ما يكون في تلك الدار، وقد أثنى الله تعالى على من اتصف بهذه الصفة ومدحهم في آيات في كتابة الكريم.

ومع ذلك كلِّه لم تسلم مجتمعاتنا الإسلامية في أرجاء المعمورة من دعاة التشكيك في "**عذاب القبر ونعيمه**"، بل والتحريف في عقيدتنا الإسلامية، التي

هي من المسلَّمات في قلب كل مسلم، ووُجِد -وللأسف الشديد- من أبناء المسلمين من يتلقَّى تلكم التشكيكات وتلكم التحريفات دون تُؤَدة ولا رويَّة، ثم يسوِّل له شيطانه أن ينظر في تلك التشكيكات والتحريفات، وأن يمرِّرها على عقله الخالي من العلم الشرعي، والغير مُحاط بالحصانة العلمية الصحيحة؛ فإذا به يجد نفسه مُستسيغًا لها، أو غارقًا بسببها في مستنقع الحيرة، أو تائهًا من جرَّائها في ظلمات الشبهات المضلة، والعياذ بالله تعالى!

لذلك كان لِزامًا على دعاة الحق والهدى أن ينشطوا لبيان مسائل العقيدة الصحيحة، وتقريبها للناس بشتَّى الوسائل الدعوية الشرعية، ومن هذه المسائل العقدية المعنيَّة مسألة **"ثبوت عذاب القبر ونعيمه"** في ديننا الإسلامي الحنيف.

ومشاركةً مني في هذا الواجب الديني المهم أتقدَّم لإخواني المسلمين بهذا الجهد المتواضع، وهو عبارة عن رسالة متواضعة في **"إثبات عذاب القبر ونعيمه"** من الكتاب والسنة وأقوال أئمة الدِّين -رَحِمَهُمُ اللَّهُ-، وأصل هذه الرسالة عبارة عن دروس ألقيتُها من كتاب "عمدة الأحكام" للحافظ عبد الغني المقدسي -رَحِمَهُ اللَّهُ-، فمررت على حديث عبد الله بن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- مرَّ بقبرين فقال: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ..» الحديث؛ فرأيت أن أعلِّق على هذا الحديث بما يسَّره الله تعالى من أدلة تثبت عذاب القبر إضافة إلى هذا الدليل؛ فذكرت ما كان من بابه من الآيات القرآنية والأحاديث النبويَّة، وكانت مسجلة؛ وانتشرت الصوتية في المواقع فأشار عليَّ من أشار بأن تفرغ وتكون رسالة مختصرة مستقلة في هذا الباب فقام أخونا الفاضل الداعي إلى الله زياد المليكي -جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا- بتفريغ هذا التسجيل وأُضيف إليه ما

كان من نظائره، ثم تمَّ ترتيبه وتهذيبه بما يناسب إخراجه إلى حيِّز التأليف، ولله الحمد والمنة، وقد تعاون في ذلك وبذل جهدا فيه أخونا الفاضل أبو عمير فؤاد الحكمي -جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا- ثم نسقه بما نأمل أن يكون صالحا للنشر والنفع، والله يكتب الأجر للجميع.

وإلا فلا يخفى أن الساحة مليئة بالمؤلفات في هذا الباب ما بين مطوَّلات ومختصرات، وقد انبرى في بيان ذلك عدد من أهل العلم قديما وحديثا، وهذه المشاركة عبارة عن استفادة مما سطروه، وهو نقل من كتبهم وكلامهم وجهدهم، ومن تلكم المؤلفات القيمة مؤلف نافع لشيخنا العلامة المحدث أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري -حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى-، وهو موسوم بِـ **"الرد المختصر على منكري عذاب القبر"**، وقد استفدت منه، وأسأل الله أن ينفع به مؤلِّفه وناشره وقارئه، إنه تعالى جواد كريم.

وقد بذلت وُسعي في رسالتي هذه لتشمل أكبر قدر ممكن من أدلة القرآن الكريم التي بيَّن العلماء - رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ- مدلولها في إثبات عذاب القبر ونعيمه، إضافة إلى بعض الأدلة من السنة النبويَّة في ذلك، وإقرار العلماء الربانيِّين بهما.

أسأل الله الكريم المنان أن ينفع بها الإسلام والمسلمين، وأن يجعلها ذخرًا لي يوم أن ألقاه، ولمن أعان على إخراجها ونشرها بين المسلمين؛ إنه تعالى كريم ودود.



توطئة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

حديثُ عبدِ الله بنِ عباسٍ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- مَرَّ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»، ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً؛ قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا».(١)

هذا الحديث -كما ترى- في الصحيحين، وهو من الأحاديث المتعلقة بالمعتقد؛ فيه مسألة مهمة من عقيدة المسلم، ومن عقيدة أهل السنة والجماعة، هذه العقيدة هي: **"إثبات عذاب القبر"**.

وهو ثابت بالكتاب وبالسنة وبالإجماع، وقد تظافرت الأدلة في بيانه وبيان حصوله، ولم يختلف أهل السنة في إثباته، بل إن الكتاب والسنة يدلّان على إثباته، ولم يخالف في هذه المسألة إلا شواذ من أهل البدع والأهواء، قل: (والزنادقة)، خاصة في هذا الزمان، كالروافض الشيعة، ومن إليهم من الجهمية وفرق المعتزلة

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٢١٨)، واللفظ له، ومسلم، برقم: (٢٩٢).

والعقلانيين، أهل الكلام وبعض الخوارج وغيرهم، فهم لا يُثبِتون عذاب القبر هروبًا من أن يقعوا في الأخذ بالسنة والأحاديث النبويَّة، فهم يريدون بإنكار عذاب القبر رد السنة، ورد الأحاديث الصحيحة التي تُثبت هذا الأمر؛ فلهذا تجد أهل العلم يذكرون هذه المسألة في كتب العقائد؛ لتكون عقيدة راسخة في قلب المسلم، لا شك فيها ولا اضطراب، فأدخلوها في كتب العقائد، وردُّوا على منكري عذاب القبر، وبيَّنوا الشبهات التي من خلالها يُلبِّسون على الناس لنفي عذاب القبر ونعيمه، وغير ذلك، وبيَّنوا أنهم أرادوا بهذا الأمر الطعن في السنة، ورد الأحاديث الكثيرة المتواترة في "**إثبات عذاب القبر ونعيمه**"، وهم يقولون: (إنما نأخذ بالقرآن)، وهم -مع هذا- لم يُثبِتوه من القرآن مع تظافر الآيات الكثيرة الواضحة البيِّنة في إثباته! نسأل الله تعالى العافية.



الآيات الدالة على إثبات عذاب القبر ونعمية

وإليك أخي المسلم، هذه الجملة من الآيات البيِّنات من القرآن الحكيم تُثبت لطالب الحق وقوع عذاب القبر لمن يستحقه، و﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنبياء:١٠٦]:

الأولى: من الآيات التي تدل على ثبوت عذاب القبر قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم:٢٧].

ودلالة الآية على ثبوت عذاب القبر بيَّنها النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- فيما رواه الشيخان عن البراء بن عازب عن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، قال: «﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم:٢٧]» قَالَ: «نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ﴾ [إبراهيم:٢٧]».(١)

قال الشيخ حافظ الحكمي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: وهذه الآية نصُّها في عذاب القبر بصريح الأحاديث الآتية وباتفاق أئمة التفسير من الصحابة فالتابعين فمَن

---

(١) رواه البخاري، برقم: (١٣٦٩)، ومسلم، برقم: (٢٨٧١)، واللفظ له.

بعدَهم، وإن المراد بالتثبيت هو عند السؤال في القبر حقيقة، وأن من أنكر ذاك اعتمادًا على كونه لا يراه ولا يسمعه فقد أنكر أن يكون الله يفعل ما يشاء(١). اهـ

الثانية: من الآيات التي تدل على ثبوت عذاب القبر قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عن فرعون وآل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ [غافر:٤٦].

ففرعون ومن معه أُغرقوا في البحر؛ فماتوا وهلكوا، والله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في هذه الآية أخبر أنهم في قبورهم وفي البرزخ يُعذَّبون، وأنهم يُعرَضون على النار غدوًّا وعشيًّا، في صباحهم وفي مسائهم وعلى سائر أحوالهم -وهم في قبورهم- يُعذَّبون، فقوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ [غافر:٤٦].

ووجه الدلالة على ثبوت عذاب القبر في هذه الآية أن آل فرعون قد ماتوا بالغرق، ومع هذا أخبر الله عنهم أنهم يُعذَّبون، وهذا يكون في قبورهم؛ بدلالة قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ [غافر:٤٦]، فإذًا يُعرَضون على النار ويُعذَّبون غدوًّا وعشيًّا في قبورهم، هذه الآية واضحة وبيِّنة، والدلالة فيها ظاهرة، فأخبر عَزَّوَجَلَّ أنهم يُعرَضون على النار في قبورهم غدوًّا وعشيًّا؛ فيصيبهم من حرِّها وعذابها ما شاء الله تعالى، ثم قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾[غافر:٤٦]، فلو كان المراد أنهم

---

(١) معارج القبول (٢/ ٧١٨).

يُعرَضون على النار يوم القيامة لما غاير بين الحالين بقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾[غافر:٤٦]، مما يدل على أمر حصل لهم قبل ذلك، وهو العذاب في البرزخ.

وكما هو مقرر عند علماء اللغة أن العطف بحرف الواو يقتضي المغايرة، فما بعدها ليس من جنس ما قبله، وفي الآية ذكر عذابهم بعد إغراقهم، ثم قال: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾[غافر:٤٦].

قال الحافظ ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور، وهي قوله: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ ﴾ [غافر:٤٦]].(١) اهـ

وقال الشيخ أبو الحسن الآمِدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ [غافر:٤٦]، ووجه الاحتجاج بها من ثلاثة أوجه:

الأول: أنها صريحة في العذاب قبل يوم القيامة، وذلك لا يكون إلا قبل الانتشار من القبور.

الثاني: أن عذاب يوم القيامة يكون أبدًا سرمدًا، غير مفتَّر، وما أثبته من العذاب فليس دائمًا؛ بل بكرة وعشيًّا على ما قاله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ١٤٦).

وَعَشِيًّا﴾ [غافر:٤٦]، وإذا لم يكن هو عذاب يوم القيامة، تعيَّن أن يكون هو عذاب القبر، إذ الآية إنما وردت في حق الموتى.

الثالث: هو أن الآية قد فرَّقت بين العذابين، ووصفت عذاب يوم القيامة بأنه أشد العذاب على ما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر:٤٦]، والعرض على النار غدوًّا، وعشيًّا؛ ليس هو أشدَّ العذاب؛ فلا يكون هو عذاب يوم القيامة؛ فتعيَّن أن يكون هو عذاب القبر(١). اهـ

الثالثة: من الآيات التي تدل على ثبوت عذاب القبر قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن قوم نوح -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾ [نوح:٢٥].

أي: بسبب كفرهم وعنادهم أغرقهم الله، وهذا يعني أنهم ماتوا بالغرق، فقال سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾ [نوح:٢٥]، وبعد أن أغرقهم الله أدخلهم نارًا، وكان هذا في البرزخ، في قبورهم؛ فالفاء -في اللغة العربية- تدل على التعقيب المباشر، فليست الفاء -هنا- للتراخي ليكون المقصود به يوم القيامة، لو كان الأمر كذلك لاكتفى بقول: (أغرقَهمُ اللهُ)، ولكن قال تعالى: ﴿فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾ [نوح:٢٥]؛ فدل ذلك على أنهم بعد الغرق عذبهم الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بالنار في قبورهم، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لم يقل: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغرِقُوا ثُمَّ أُدخِلُوا نَارًا﴾، فلو أنه

(١) أبكار الأفكار في أصول الدين (٤/ ٣٣٥).

قال هذا لدلَّت "ثُمَّ" على التراخي، عند ذلك قد تُحمَل الآية على أنهم سيُدخَلون النار يوم القيامة، لكن بيَّن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه بعد إغراق قوم نوح كان مصيرهم العذاب الآخَر مباشرة، وذلك في البرزخ في قبورهم.

قال الشيخ أبو الحسن الآمِدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: الآية الثانية: قوله تعالى في حق قوم نوح: ﴿أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ [نوح:٢٥]، والفاء في اللغة للتعقيب من غير مهلة، وذلك ظاهر في عذاب القبر.(١) اهـ

الرابعة: من الآيات التي تدل على ثبوت عذاب القبر قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه:١٢٤].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ- فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه:١٢٤] قَالَ: «عَذَابُ الْقَبْرِ».(٢)

قال الشيخ أبو الحسن الآمِدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه:١٢٤]، وقد اختلف أهل التفسير في ذلك، فمنهم: من حمل المعيشة الضنك على عذاب القبور، ومنهم: من حملها على سوء الحال ونكد العيش حالة الحياة، غير أن الأول أولى وأقرب إلى الظاهر؛ وذلك لأن من أعرض عن ذكر الله تعالى قد يكون في الدنيا في أنعم عيش

---

(١) أبكار الأفكار في أصول الدين (٤/ ٣٣٥).

(٢) حسَّنه الشيخ الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٥/ ١٠١).

وأرغده، والمؤمن على الضد منه على ما هو المشاهد المحسوس، ولهذا قال -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»، فلو كان المراد بالمعيشة الضنك المعيشة في حالة الحياة لكانت هذه الأمور على خلاف ظاهر الآية[1]. اهـ

الخامسة: من الآيات التي تدل على ثبوت عذاب القبر قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن منافقي هذه الأمة: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة: ١٠١].

انظر إلى قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [التوبة:١٠١]:

المرة الأولى: العذاب في الدنيا بالقتل وغيره؛ فيُخزيهم الله ويُذِلُّهم، ويموتون على الكفر بشر مِيتة.

والمرة الثانية: العذاب في قبورهم.

والعذاب الثالث: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة:١٠١].

وهذا واضح؛ فهناك مغايرة في السياق تدل على ثبوت عذاب القبر، وأنه عذاب غير العذاب الذي يكون في الآخرة، فإذا جاء من يقول: (هذه الآية فيها دلالة على ثبوت العذاب في الآخرة، وليس العذاب في القبر)، فقل له: (إذًا فسِّر لنا معنى قوله تعالى: ﴿مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة:١٠١]، وهنا

---

(١) أبكار الأفكار في أصول الدين (٤/ ٣٣٦).

سيُلجَم؛ لأنه ما عنده حجة؛ لأن التفسير واضح ومبيَّن، والخطاب عربي، فهذه الآية فيها دلالة واضحة على ثبوت عذاب القبر، وهي من أدلة الإنكار على من لا يثبت عذاب القبر، من الزنادقة والملاحدة والعقلانيين.

قال الشيخ أبو عمرو الداني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ومما يدل على عذاب القبر من نص التنزيل قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة:١٠١]، يعني: عذاب الدنيا بالقتل وغيره، وعذاب القبر.(١) اهـ

وقال الشيخ حافظ الحكمي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: وقال تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [التوبة:١٠١]، قال ابن مسعود وأبو مالك وابن جريج والحسن البصري وسعيد وقتادة وابن إسحاق -ما حاصله- أن المراد بذلك عذاب الدنيا وعذاب القبر، ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[التوبة: ١٠١] هو عذاب النار.(٢) اهـ

السادسة: من الآيات التي تدل على ثبوت عذاب القبر قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن الفاسقين المكذِّبين: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [السجدة:٢١].

قال ابن قيِّم الجوزيَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: فإنه سبحانه أخبر أن له فيهم عذابين: (أدنى وأكبر)، فأخبر أنه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا؛ فدلَّ على أنه بقي لهم من الأدنى بقيَّة يُعذَّبون بها بعد عذاب الدنيا، ولهذا قال: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾

---

(١) الرسالة الوافية (١٩٩).

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٧١٩).

[السجدة:٢١]، ولم يقل: (وَلَنُذِيقَنَّهُمُ الْعَذَابَ الْأَدْنَى)، فتأمَّله.

وهذا نظير قول النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-: «فَيُفْتَحُ لَهُ طَاقَةٌ إِلَى النَّارِ؛ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا»(١)، ولم يقل: «فَيَأْتِيهِ حَرُّهَا وَسَمُومُهَا»، فإن الذي وصل إليه بعض ذلك، وبقي له أكثره، والذي ذاقه أعداء الله في الدنيا بعض العذاب، وبقي لهم ما هو أعظم منه.(٢) اهـ

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: وهذه الآية من الأدلة على إثبات عذاب القبر، ودلالتها ظاهرة، فإنه قال: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾ [السجدة:٢١] أي: بعض وجزء منه، فدل على أن ثَمَّ عذابًا أدنى قبل العذاب الأكبر، وهو عذاب النار، ولما كانت الإذاقة من العذاب الأدنى في الدنيا، قد لا يتصل بها الموت، فأخبر تعالى أنه يذيقهم ذلك لعلهم يرجعون إليه ويتوبون من ذنوبهم.(٣) اهـ

السابعة: من الآيات التي تدل على ثبوت عذاب القبر قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٩٣﴾[الأنعام:٩٣]

---

(١) الظاهر أن هذه الجملة من الحديث مرويَّة بالمعنى، وأصلها: «وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ؛ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا» في الحديث الطويل الذي يأتي ذكره في ثنايا هذه الرسالة.

(٢) الروح (٧٦).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٦٥٦).

فأخبر ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن الظالمين يُعذَّبون حال الاحتضار، وأن الملائكة تجيء وهم في ذلك الحال -أي: في سكرات الموت- فتبسط أيديهم لضرب هؤلاء الظالمين، ولتعذيبِهم حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم بعدما تفرَّقت فيها وأَبَت الخروج، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأنعام:٩٣] فيه دلالة ظاهرة على ثبوت عذاب القبر؛ لأن السياق يقتضي أن الظالمين يُعذَّبون حال احتضارِهم وقبضِ الملائكة لأرواحهم، وأنه يعقبه عذابٌ لهم في ذلك اليوم بعد قبض أرواحهم، ويكون ذلك في قبورهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: وقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأنعام:٩٣] دلَّ على وقوع الجزاء عقب الموت.(١) اهـ

وقال ابن قيِّم الجوزيَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: وأما الجواب المفصل فهو: أن نعيم البرزخ وعذابه مذكور في القرآن في غير موضع، فمنها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾[الأنعام:٩٣]، وهذا خطاب لهم عند الموت، وقد أخبرت الملائكة -وهم الصادقون- أنهم حينئذ يُجزَون عذاب الهون، ولو تأخر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يُقال لهم: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾[الأنعام:٩٣].(٢) اهـ

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٦٧).

(٢) الروح (٧٥).

وقال العلامة ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: فقال سبحانه: ﴿ ٱلْيَوْمَ ﴾ [الأنعام:٩٣] يعني: يوم إخراج أنفسهم، أي: يوم موتهم يُجزَون عذاب الهون.(١) اهـ

الثامنة: من الآيات التي تدل على ثبوت عذاب القبر قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾ [الأنفال:٥٠-٥١].

فأخبر ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن الكفار عند مجيء الملائكة لقبض أرواحهم يضربونهم على وجوههم، ويكون هذا في البرزخ، فلو كان الأمر مجرد موت ورقاد ليس فيه عذاب في القبر لما أخبر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن هذا الأمر يحصل عند الوفاة، وعند قبض الأرواح، فهذه الآية من أدلة ثبوت عذاب القبر، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ [الأنفال:٥٠]، فهم يُعذَّبون بالضرب في الوجوه والأدبار عند قبض أرواحهم، ومزيدًا على ذلك العذاب ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال:٥٠]، ويكون هذا في البرزخ في قبورهم.

قال ابن قيِّم الجوزيَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: فقول الملائكة: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ [الأنعام:٩٣] المراد به: عذاب البرزخ، الذي أوَّله يوم القبض والموت، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ

---

(١) شرح العقيدة السفارينية (١/ ٤٣٨).

﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝٥٠﴾ [الأنفال:٥٠]، فهذه الإذاقة هي في البرزخ، وأوَّلها حين الوفاة؛ فإنه معطوف على قوله: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾[الأنفال:٥٠]، وهو من القول المحذوف مَقولُهُ لدلالة الكلام عليه، كنظائره، وكلاهما واقع وقت الوفاة.(١) اهـ

التاسعة: من الآيات التي تدل على ثبوت عذاب القبر قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن المشركين: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ۝٤٥ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٤٦ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٧﴾[الطور:٤٥-٤٧].

قال ابن قيِّم الجوزيَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ومنها: قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ۝٤٥ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٤٦ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٧﴾ [الطور:٤٥-٤٧]، وهذا يحتمل أن يُراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا، وأن يراد به عذابهم في البرزخ، وهو أظهر؛ لأن كثيرًا منهم مات ولم يُعذَّب في الدنيا.

وقد يُقال -وهو أظهر-: أن من مات منهم عُذِّب في البرزخ، ومن بقي منهم عُذِّب في الدنيا بالقتل وغيره، فهو وعيد بعذابهم في الدنيا وفي البرزخ.(٢)اهـ

العاشرة: من الآيات التي تدل على ثبوت عذاب القبر قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

---

(١) شرح العقيدة السفارينية (١/ ٤٣٨).

(٢) الروح (٧٥).

﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ٨٣ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ٨٤ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ٨٥ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ٨٦ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٨٧ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩٠ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩١ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ٩٢ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ٩٣ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ٩٤﴾ [الواقعة:٨٣-٩٤].

تأمل في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ٩٢ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ٩٣ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ٩٤﴾ [الواقعة:٩٢-٩٤]، فقوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ٩٣﴾ [الواقعة:٩٣] هذه الفاء تفيد التعقيب، وهذا يدل على أنه بعد وفاتهم يُعذَّبون ويُهانون مباشرة في قبورهم، وفي الآيات -أيضًا- إثبات نعيم القبر، ففيها إثبات نعيم القبر وعذاب القبر، وأما المؤمن الصالح فإنه يُكرَم ويكون له نُزُل -وهي: الضيافة- فيشعر في قبره بالنعيم، فهذه الآيات في سياق النعيم الذي يكون في القبر للمؤمنين، والعذاب الذي يكون في القبر للكافرين، والمقصود بقوله: ﴿فَنُزُلٞ﴾ [الواقعة:٩٣] أي: فضيافتهم -ضيافة الكفار في قبورهم- من حميم، فيشعر في قبره بالعذاب إلى ما شاء الله تعالى، فكما أن المؤمن له ضيافة محمودة، وهي: النعيم، فكذلك الكافر له ضيافة مذمومة، وهي: العذاب.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: فالثلاثة أصناف التي في آخر "الواقعة" ظاهرة في ثبوت عذاب القبر ونعيمه.(١). اهـ

---

(١) مجموع الفتاوى والرسائل (٨/ ٤٨٥).

إثبات عذاب القبر ونعيمه من الآيات التي فيها ذكر أحوال الشهداء

ومن الأدلة التي فيها إثبات عذاب القبر ونعيمه الآيات التي بيَّن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيها أحوال الشهداء، من أنهم أحياء، وأنهم يُرزَقون، وأنهم يُكرَمون، وأنهم فرحون بما آتاهم الله تعالى من فضله، فهذا متى يكون مع أنه معلوم أن أصل النعيم الأكبر الدائم المستمر الذي ليس بعده نعيم في الجنة إنما يكون يوم القيامة، ومع ذلك قد أخبرنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن أحوال الشهداء أنهم يعيشون في حياة ونعيم حقيقي بعد موتهم مباشرة، وحين قبض أرواحهم وقبل يوم القيامة، فهذا أين يكون والقيامة لم تقم بعد؟!

فلاشك أن من أعطي فطرة سليمة وعقلًا مستقيمًا يدرك أن هذا يكون في البرزخ، وهذا الذي تقتضيه الأدلة من الكتاب والسنة.

فقد أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن الشهداء بقوله: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتُۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ١٥٤﴾ [البقرة:١٥٤].

تأمل في قوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ١٥٤﴾ [البقرة:١٥٤]، نحن لا نشعر بما يعيشه الشهداء من النعيم، في تلك الأثناء التي قبضت أرواحهم فيها، فهم في حياة أخروية، نحن ننظر إلى الميت الذي يُقتل في المعركة والشهيد -الذي نرجو أنه من الشهداء- حال تجهيزه وحمله وتشييعه وحين يُدخَل في قبره وكل ما هو كائن في تلك اللحظات في حياته الأخروية ونحن لا نشعر به، وهذا معنى قوله: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ١٥٤﴾ [البقرة:١٥٤]، فالخطاب للأحياء في الدنيا

الذين فارقهم في تلك اللحظات عند قبض روحه، فأخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه حي! وهذه الحياة التي يعيشها ونحن لا نشعر بها كما أخبر الله.

فأين تكون هذا الحياة التي نالها الشهيد؟

الجواب واضح أنها في القبر، فهو يتمتع بهذا الخير مباشرة بعد موته، ولذلك قال ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ۝١٥٤ ﴾ [البقرة:١٥٤]، فهذه الآية من أدلة إثبات نعيم القبر للمؤمن، ويقابله عذاب القبر للكافر، وليس المقصود من الآية أنه سيكون حيًّا يوم القيامة، وأن هذا الإخبار عن يوم القيامة يوم تقوم الساعة، وحين يكون في الجنة بعد المراحل التي يمر بها الناس يوم القيامة فليس الأمر كذلك بدلالة أن يوم القيامة سنرى من يتمتَّع بالنعيم، وكذلك سنلتقي ونشاهد ونشعر ببعضنا، لكن الصواب الذي لا خلاف عند أهل الإسلام في معنى قوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ۝١٥٤ ﴾ [البقرة:١٥٤] الخطاب للأحياء الذين في الدنيا بعد مفارقة ذلك الميت، وهذا فيه تحفيز لهم وترغيب لهم بما هو جزاؤهم عند الله من النعيم إن هم قاموا بما أوجب الله عليهم، فمعناه أي: لا تشعرون بما هم فيه من النعيم والرزق والحياة السعيدة التي يعيشونها في برزخهم، أنتم لا تشعرون بهم، ولكن هذا هو جزاؤهم في قبورهم، هذا هو وجه الشاهد من الآية.

ومن هذا الباب أيضًا قد تأكله السباع، وقد يُقتَل الشهيد ويُمزَّق، وقد تفنى أبدانهم في الدنيا ويأكلها الدود، وربما احترقت وربما غرقت وما إلى ذلك مما يراه الأحياء ومع هذا فإنهم إن كانوا مؤمنين ينالهم نعيم القبر، وإن كان غير ذلك نالوا من عذاب القبر مباشرة بعد قبض أرواحهم ولا محالة، وكل هذا ونحن لا نشعر

بما وراء ذلك من النعيم الذي يعيشونه، فلهم حياة في برزخهم يُمتَّعون ويُكرَمون بها، فهذا من أدلة ثبوت نعيم القبر، وفي مقابل ذلك ثبوت عذاب القبر.

قال الإمام محمد بن علي الشوكاني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحت تفسيره لهذه الآية-: أي: لا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله هم أموات، بل هم أحياء، ولكن لا تشعرون بهذه الحياة عند مشاهدتكم لأبدانهم بعد سلب أرواحهم؛ لأنكم تحكمون عليها بالموت في ظاهر الأمر، بحسب ما يبلغ إليه علمكم الذي هو بالنسبة إلى علم الله كما يأخذ الطائر في منقاره من ماء البحر، وليسوا كذلك في الواقع، بل هم أحياء في البرزخ.

وفي الآية دليل على ثبوت عذاب القبر، ولا اعتداد بخلاف من خالف في ذلك، فقد تواترت به الأحاديث الصحيحة، ودلت عليه الآيات القرآنية.(١). اهـ

ويقول سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٍۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٤﴾ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ﴿٥﴾ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴿٦﴾﴾ [محمد:٤-٦].

انظر: ﴿سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ﴿٥﴾﴾ [محمد:٥]، هذا يكون في قبورهم، ثم بعد ذلك: ﴿وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴿٦﴾﴾ [محمد:٦].

ويقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ

---

(١) فتح القدير (١/ ١٨٤).

خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [آل عمران:١٦٩-١٧١].

فأخبر تعالى أن الشهداء أحياء في قبورهم، وأنهم في فرح وسعادة وفوز؛ بسبب النعيم الذي حصلوا عليه في قبورهم.

وقوله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في هذه الآية نفسها: ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ [آل عمران:١٧٠] يدل على حياتهم، ولا يكون هذا الفرح وهذا الاستبشار إلا لشيء واقع، ولشيء حصل لهم حال قبض أرواحهم وانتقالهم للحياة الأخروية، أي: أنهم في قبورهم يستبشرون بالذين سيقدُمون عليهم، من أهل الدنيا الصالحين، وأنهم سيُرزَقون مثلما رُزِقوا هم في قبورهم، فهذا تبشير من ربهم سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ لمن أقام تلك الشعيرة في سبيله وتحفيز لمن بقي من أهل الدنيا أن يلحقوا بركب من نالهم النعيم بعد موتهم مباشرة، فهذه الآيات وهذا السياق يدل على أن هذا الاستبشار بالذين لم يقدُموا بَعْد من الدنيا، وأما هم -وهم في قبورهم- فإن لهم عقولًا وإدراكًا وتمييزًا، فيستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم، فليس المراد بذلك يوم القيامة، وإنما في هذه الحياة، والآيات وردت في سياق ذكر ما ناله الشهداء من الجزاء، وماهم فيه من الفرح والسرور، وما ينتظرون ممن بقي من إخوانهم على قيد الحياة.

وأما يوم القيامة فما بقي فيه انتظار لمن لم يلحق، فإن الكل قد لحق وكتب عليه الفناء، فلا انتظار لقدوم من يقدُم، فالناس قد بعثوا جميعًا وحاسبوا، ودخل من دخل الجنة، ودخل من دخل النار، فهذه الآية في سياق ذكر الخير الذي يعيشه الشهداء في قبورهم، وفي مقابل ذلك فالآيات مثبتة لعذاب القبر -أيضًا- لمن شاء

الله تعالى أن يكون مُعذَّبًا.

قال الإمام ابن قتيبة الدينوري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: فإذا جاز أن يكون هؤلاء الشهداء أحياء عند ربهم يُرزَقون، وجاز أن يكونوا فرحين ومستبشرين، فلم لا يجوز أن يكون أعداؤهم الذين حاربوهم وقتلوهم أحياء في النار يُعذَّبون؟(١). اهـ

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ [الحج:٥٨-٥٩].

وهذه الآية -أيضًا- من أدلة ثبوت نعيم القبر للمؤمنين، وأنهم يُرزَقون في قبورهم، وأنهم يُدخَلون مُدخَلًا كريمًا، ويُكرِمهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما يجعلهم يرضونه ولا يريدون سواه.

(فائدة): في هذه الآية -أيضًا- أن هذا النعيم في القبر ليس خاصًا بالشهداء وحسْب، بل هو لمن مات مهاجرًا في سبيل الله وهو على التوحيد والإيمان؛ لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟﴾ [الحج:٥٨]، فسواء قُتِلوا في سبيل الله في الجهاد والغزو، أو ماتوا في سبيل الله من غير قَتْل، فهذا الخير يشملهم، ويُكرمهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بهذا النعيم أيضًا.



---

(١) تأويل مختلف الحديث (٢٢٨).

الأحاديث الدالة على إثبات عذاب القبر ونعميه

قال الحافظ ابن عبد البر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: وأمّا الآثار عن النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ- في عذاب القبر فلا تَكاد تُحصى بعددٍ تواترًا واشتهارًا وصحَّةً، وكذلك هي عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان كثيرة شهيرة يجب الاستناد إليها... ثم قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: وكلُّ مَن تكلَّم في تفسير القرآن من السلف في هذه الآية وغيرها يُقِرُّ بفتنة القبر ويؤمن بها، ويرى الآثار فيها(١)، وهم أهل العلم بالقرآن ولسان العرب، ومراد الرسول -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ-.(٢). اهـ

فإليك أخي القارئ جملة من الأحاديث -غير حديث ابن عباس المذكور في بداية الرسالة- الثابتة في أصح كتابين بعد كتاب الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ؛ تلقَّتها الأمة الإسلامية بالقبول(٣)، تُثبت وقوع عذاب القبر لمن يستحقه، وفي ذكرها غُنْيَة و﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾، فمنها:

الأول: عَنْ عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ- أَخْبَرَتْهُ

---

(١) أي: يرى ثبوت الآثار التي جاءت فيها.

(٢) الأجوبة عن المسائل المستغربة من كتاب البخاري (١٩٠-١٩١).

(٣) قال شيخ الإسلام -رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٧٤)-: وَأَمَّا كُتُبُ الْحَدِيثِ الْمَعْرُوفَةُ: مِثْلَ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ. فَلَيْسَ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ كِتَابٌ أَصَحُّ مِنَ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ. اهـ

وقال الإمام النووي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرحه لمسلم» (١/ ١٤)-: اتفق العلماء -رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ- على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخاري ومسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول. اهـ

أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَفِتْنَةِ المَمَاتِ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ المَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ»، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ المَغْرَمِ!؛ فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ».(١).

الثاني: عَنْ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي بَكْرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا سَمِعَتْ عَائِشَةَ -وَذُكِرَ لَهَا أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: إِنَّ المَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الْحَيِّ؛ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَغْفِرُ اللهُ لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَكْذِبْ، وَلَكِنَّهُ نَسِيَ أَوْ أَخْطَأَ، إِنَّمَا مَرَّ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- عَلَى يَهُودِيَّةٍ يُبْكَى عَلَيْهَا، فَقَالَ: «إِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ عَلَيْهَا وَإِنَّهَا لَتُعَذَّبُ فِي قَبْرِهَا».(٢).

الثالث: عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِيهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «المَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ».(٣).

الرابع: عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ -حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ- أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-؟؛ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عبد الله وَرَسُولُهُ؛ فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٨٣٢)، ومسلم، برقم: (٥٨٩)، واللفظ للبخاري.

(٢) رواه البخاري، برقم: (١٢٨٩)، ومسلم، برقم: (٩٣٢)، واللفظ لمسلم.

(٣) رواه البخاري، برقم: (١٢٩٢)، ومسلم، برقم: (٩٢٧)، واللفظ للبخاري.

مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ»، قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ-: «فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الكَافِرُ -أَوِ المُنَافِقُ- فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ؛ فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ».(١)

الخامس: عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَٱللَّهُعَنهَا- أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا فَذَكَرَتْ عَذَابَ الْقَبْرِ؛ فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكِ اللهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ؛ فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ- عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَقَالَ: «نَعَمْ، عَذَابُ الْقَبْرِ» قَالَتْ عَائِشَةُ -رَضِيَٱللَّهُعَنهَا-: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ- بَعْدُ صَلَّى صَلَاةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. زَادَ غُنْدَرٌ: «عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ».(٢)

(فائدة): قال الحافظ ابن عبد البر -رَحِمَهُٱللَّهُ-: [في هذا الحديث دليل على أن عذاب القبر تعرفه اليهود، وذلك -والله أعلم- في التوراة؛ لأن مثل هذا لا يُدرَك بالرأي](٣). اهـ

قال شيخنا العلامة يحيى الحجوري -حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى-: ومن العجيب أن اليهود تعرفه والرافضة تنكره، مع أن الرافضة قد شابهت اليهود في أكثر من أربعين مسألة! ذكرها شيخ الإسلام في "منهاج السنة" ونقلناها عنه في كتابنا "الحجج القاطعة على أن الروافض ضد الإسلام على مَرِّ التاريخ بلا مدافعة".(٤) اهـ

---

(١) رواه البخاري، برقم: (١٣٣٨)، ومسلم، برقم: (٢٨٧٠)، واللفظ للبخاري.
(٢) رواه البخاري، برقم: (١٣٧٢).
(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٣/ ٣٩١).
(٤) الرد المختصر على منكري عذاب القبر (١٥).

السادس: عَنِ الْبَرَاءِ بنِ عَازِبٍ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- وَقَدْ وَجَبَتِ الشَّمْسُ، فَسَمِعَ صَوْتًا فَقَالَ: «**يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا**».(١)

السابع: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يَدْعُو وَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**».(٢)

الثامن: عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**».(٣)

التاسع: عَنْ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحْزَابِ قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**مَلأَ اللهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا؛ شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ**».(٤)

العاشر: عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: دَخَلَتْ عَلَيَّ عَجُوزَانِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ فَقَالَتَا: إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، قَالَتْ: فَكَذَّبْتُهُمَا وَلَمْ أُنْعِمْ أَنْ أُصَدِّقَهُمَا، فَخَرَجَتَا وَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- فَقُلْتُ لَهُ: يَا

---

(١) رواه البخاري، برقم: (١٣٧٥)، ومسلم، برقم: (٢٨٦٩)، واللفظ للبخاري.
(٢) رواه البخاري برقم: (١٣٧٧).
(٣) رواه البخاري، برقم: (٢٨٢٣)، ومسلم، برقم: (٢٧٠٦)، واللفظ للبخاري.
(٤) رواه البخاري، برقم: (٢٩٣١)، ومسلم، برقم: (٦٢٧)، واللفظ للبخاري.

رَسُولَ الله! إِنَّ عَجُوزَيْنِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ المَدِينَةِ دَخَلَتَا عَلَيَّ فَزَعَمَتَا أَنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ؛ فَقَالَ: «صَدَقَتَا، إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ»، قَالَتْ: فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ فِي صَلَاةٍ إِلَّا يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.(١)

الحادي عشر: عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَقُولُ: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ، وَالْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، اللهُمَّ اغْسِلْ عَنِّي خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».(٢)

الثاني عشر: عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: تَعَوَّذُوا بِكَلِمَاتٍ كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يَتَعَوَّذُ بِهِنَّ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْقَبْرِ».(٣)

الثالث عشر: عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ خَالَتِهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَتَعَوَّذُ: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٦٣٦٦)، ومسلم، برقم: (٥٨٦)، واللفظ لمسلم.

(٢) رواه البخاري، برقم: (٦٣٦٨)، ومسلم، برقم: (٥٨٩)، واللفظ للبخاري.

(٣) رواه البخاري، برقم: (٦٣٧٤).

الْغِنَى، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ».(١)

الرابع عشر: عَنْ عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ -رَضِيَٱللَّهُعَنهَا- قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ- وَعِنْدِي امْرَأَةٌ مِنَ الْيَهُودِ وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ شَعَرْتِ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ؟ قَالَتْ: فَارْتَاعَ رَسُولُ الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ- وَقَالَ: «إِنَّمَا تُفْتَنُ يَهُودُ!»، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَبِثْنَا لَيَالِيَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ-: «هَلْ شَعَرْتِ أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ؟» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ- بَعْدُ يَسْتَعِيذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.(٢)

الخامس عشر: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ-: «عُوذُوا بِالله مِنْ عَذَابِ الله، عُوذُوا بِالله مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، عُوذُوا بِالله مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، عُوذُوا بِالله مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ».(٣)

السادس عشر: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ-: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِالله مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ».(٤)

السابع عشر: عَنْ عَوْفِ بنِ مَالِكٍ -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- قَالَ: صَلَّى رَسُولُ الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ- عَلَى جَنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللهُمَّ، اغْفِرْ لَهُ

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٦٣٧٦).

(٢) رواه مسلم، برقم: (٥٨٤).

(٣) رواه مسلم، برقم: (٥٨٨).

(٤) رواه مسلم، برقم: (٥٨٨).

وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ -أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ-»، قَالَ: حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْمَيِّتَ.(١)

الثامن عشر: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنْ زَيْدِ بنِ ثَابِتٍ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: -وَلَمْ أَشْهَدْهُ مِنَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، وَلَكِنْ حَدَّثَنِيهِ زَيْدُ بن ثَابِتٍ- قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ، إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ، وَإِذَا أَقْبُرٌ سِتَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ -قَالَ: كَذَا كَانَ يَقُولُ الْجُرَيْرِيُّ- فَقَالَ: «مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ؟»؛ فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا؛ قَالَ: «فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟»؛ قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ؛ فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ»، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ»، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ»، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ»، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ.(٢)

التاسع عشر: عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.(٣)

---

(١) رواه مسلم، برقم: (٩٦٣).

(٢) رواه مسلم، برقم: (٢٨٦٧).

(٣) رواه مسلم، برقم: (٢٨٦٨).

ذكر حديث البراء في إثبات عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ؛ فَجَلَسَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا بِالله مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ الله وَرِضْوَانٍ»، قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ»، قَالَ: «فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ -يَعْنِي بِهَا- عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟؛ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ؛ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى»، قَالَ: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟؛ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ،

فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟؛ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟؛ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟؛ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي؛ فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ»، قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ»، قَالَ: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ)؛ فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ؛ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ؛ فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي».

قَالَ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ»، قَالَ: «فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ؛ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟؛ فَيَقُولُونَ: (فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ) بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ -ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠]- فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى؛ فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا -ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ

ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴿٣١﴾ [الحج:٣١]- فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟؛ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟؛ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟؛ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ؛ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوؤُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ؛ فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ؛ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ؛ فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ».(١)



---

(١) رواه أحمد (٣٠/ ٤٩٩-٥٠٣) وغيره، وصحَّحه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٣٩٨-٤٠١)، وحسَّنه الشيخ الوادعي في الجامع الصحيح (١/ ٤١٤-٤١٧).

ما جاء في اسم الملكين الموكلين في فتنة القبر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ -أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ- أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟؛ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ، نَمْ؛ فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي؛ فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلأَرْضِ: الْتَئِمِي عَلَيْهِ؛ فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ؛ فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ؛ فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ».(١)



(١) رواه الترمذي (٣/ ٣٧٦) وغيره، وحسَّنه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي، برقم: (١٠٧١)، وفي السلسلة الصحيحة (٣/ ٣٨٠)، وفي التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٥/ ٩٩)، وفي صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٤٠٢)، وفي صحيح الجامع (١/ ١٨٦).

الأحاديث الدالة على ضمة القبر

الأول: عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ صَبِيًّا دُفِنَ فَقَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «لَوْ أَفْلَتَ أَحَدٌ مِنْ ضَمَّةِ الْقَبْرِ لَأَفْلَتَ هَذَا الصَّبِيُّ». (١)

الثاني: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ دُفِنَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى قَبْرِهِ قَالَ: «لَوْ نَجَا أَحَدٌ مِنْ ضَمَّةِ الْقَبْرِ لَنَجَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَلَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً ثُمَّ رُخِّيَ عَنْهُ». (٢).

الثالث: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- صَلَّى عَلَى صَبِيَّةٍ أَوْ صَبِيٍّ فَقَالَ: «لَوْ نَجَا أَحَدٌ مِنْ ضَمَّةِ الْقَبْرِ لَنَجَا هَذَا الصَّبِيُّ». (٣)

الرابع: عَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- عَنْ رَسُولِ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ». (٤).

الخامس: عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «لِلْقَبْرِ ضَغْطَةٌ لَوْ نَجَا مِنْهَا أَحَدٌ لَنَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ». (٥).

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/ ١٩٥)، وصحيح الجامع الصغير (٢/ ٩٢٩).
(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ الألباني (٢/ ٩٣٨)، واللفظ للطبراني.
(٣) صحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ الألباني (٢/ ٩٣٩).
(٤) صحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ الألباني (٢/ ١١٧٢).
(٥) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان للشيخ الألباني (٥/ ٩٥).

أقوال العلماء في إثبات عذاب القبر ونعيمه وحكم من أنكره

وهذه جملة من أقوال الأئمة العلماء -وهي لا تحصى كثرة- في إقرارهم -رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ- بعذاب القبر ونعيمه، وإعادة الروح إلى جسد الميت في قبره، وسؤال منكر ونكير له، وضغطة القبر للميت، وحكم من أنكر ذلك من المسلمين:

أولا: قال الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: وسؤال منكر ونكير حق كائن في القبر، وإعادة الروح إلى الجسد في قبره حق، وضغطة القبر وعذابه حق كائن للكفار كلهم، ولبعض عصاة المؤمنين حق جائز. (١) اهـ

وقال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: من قال: (لا أعرف عذاب القبر) فهو من الجهمية الهالكة؛ لأنه أنكر قولَه تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [التوبة:١٠١] يعني: عذاب القبر! وقولَه تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الطور:٤٧] يعني: في القبر!

فإن قال: (أؤمن بالآية ولا أؤمن بتأويلها وتفسيرها).

قال: هو كافر؛ لأن من القرآن ما هو تنزيله تأويله، فإن جحد بها فقد كفر.(٢)

ثانيا: قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: إن مشيئة العباد هي إلى الله تعالى، ولا يشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين، وإن أعمال الناس خلقٌ من الله فعلٌ للعباد، وإن القدر خيره وشره من الله عَزَّوَجَلَّ، وإن عذاب القبر حق، ومساءلة أهل القبور حق، والبعث والحساب والجنة والنار وغير ذلك مما جاءت به السنن

---

(١) الفقه الأكبر (٦٥) المنسوب لأبي حنيفة.

(٢) الفقه الأكبر (١٣٧).

وظهرت على ألسنة العلماء وأتباعهم من بلاد المسلمين حق.(١) اهـ

ثالثا: قال الإمام أبو عبد الله أحمد ابن حنبل -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: والإيمان بعذاب القبر، وأن هذه الأمة تُفتن في قبورها، وتُسأل عن الإيمان والإسلام، ومن ربه، ومن نبيُّه، ويأتيه منكر ونكير كيف شاء وكيف أراد، والإيمان به، والتصديق به.(٢)اهـ

وقال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: وعذاب القبر حق، يُسأل العبد عن دينه وعن ربه وعن الجنة، وعن النار، ومنكر ونكير حق، وهما فتانا القبر، نسأل اللهَ الثبات. (٣)اهـ

وعن أحمد بن القاسم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- قال: قلت: يا أبا عبد الله، تُقرُّ بمنكر ونكير وما يروى من عذاب القبر؟؛ فقال: نعم، سبحان الله! نُقرُّ بذلك ونقوله.

قلت: هذه اللفظة: منكر ونكير، تقول هذا أو تقول ملكين؟

قال: نقول: منكر ونكير -وهما ملَكان-، وعذاب القبر.(٤) اهـ

وقال المروذي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: قال لنا أبو عبد الله: عذاب القبر حق، ما ينكره إلا ضالٌّ مضلٌّ.(٥) اهـ

وسأله رجل مسائلَ ومنها: قال: وعذاب القبر ومنكر ونكير؟

قال أبو عبد الله: نؤمن بهذا كله، ومن أنكر واحدة من هذه فهو جهمي.(٦) اهـ

---

(١) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد لأبي بكر البيهقي (٢٢٦).
(٢) أصول السنة لأحمد ابن حنبل (٣٠-٣١).
(٣) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١/ ٢٧).
(٤) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١/ ٥٥).
(٥) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١/ ٦٢)
(٦) مسائل الإمام أحمد ابن حنبل لابن هانئ النيسابوري (٢/ ١٥٦).

رابعا: قال الإمام أبو جعفر الطحاوي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين، وبعذاب القبر لمن كان له أهلًا، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيِّه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ- وعن الصحابة رضوان الله عليهم، والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران.(١) اهـ

خامسا: قال الإمام القرطبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: الإيمان بعذاب القبر وفتنته واجب، والتصديق به لازم، حسب ما أخبر به الصادق.

وأن اللهّ تعالى يحيي العبد المكلّف في قبره بردّ الحياة إليه، ويجعله من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه، ليعقل ما يسأل عنه وما يجيب به، ويفهم ما أتاه من ربه وما أعد له في قبره من كرامة أو هوان.

وبهذا نطقت الأخبار عن النبي المختار -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ- آناء الليل وأطراف النهار، وهذا مذهب أهل السنة والذي عليه الجماعة من أهل الملة، ولم تفهم الصحابة الذين نزل القرآن بلسانهم ولغتهم من نبيهم -عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ- غير ما ذكرناه، وكذلك التابعون بعدهم إلى هلم جرّا. (٢)

سادسا: قال الإمام ابن أبي العز الحنفي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: وقد تواترت الأخبار عن رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ- في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلًا، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا يُتكلَّم في كيفيته؛

---

(١) متن الطحاوية بتعليق الألباني (٧١-٧٢).

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (١/ ١٤٧).

إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته؛ لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تُحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول؛ فإن عَود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تُعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا.(١) اهـ

سابعا: قال ابن أبي زَمَنِين المالكي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: وأهل السنة يؤمنون بعذاب القبر -أعاذنا الله وإياك من ذلك- قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه:١٢٤]، وقال: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة:١٠١].(٢) اهـ

ثم نقل -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عن الشيخ عبد الملك بن حبيب الأندلسي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- قولَه: وفتنة القبر وعذابه عند أهل السنة والإيمان بالله قوي؛ ليس عندهم فيه شك، ومن كذَّب بذلك فهو من أهل التكذيب بالله، وإنما يُكذِّب به الزنادقة الذين لا يؤمنون بالبعث، وقد طلع من كلامهم طرفٌ رأيته دبَّ في الناس، خِفْتُ عليهم من الضلال في دينهم وإيمانهم؛ فاحذروهم؛ فهم الذين قالوا: (إن الأرواح تموت بموت الأجساد) إرادةَ التكذيب بعذاب القبر وبما بعده.(٣) اهـ

ثامنا: قال الإمام عبد الغني المقدسي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: والإيمان بعذاب القبر حق واجب وفرض لازم؛ رواه عن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ-: علي بن أبي طالب وأبو أيوب، وزيد بن ثابت، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، وأبو بكرة، وأبو رافع،

(١) شرح الطحاوية (٣٩٥).
(٢) أصول السنة لابن أبي زمنين (١٥٤).
(٣) أصول السنة لابن أبي زمنين (١٥٧).

وعثمان بن أبي العاص، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، وعائشة زوج النبي -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، وأختها أسماء، وغيرهم، وكذلك الإيمان بمساءلة منكر ونكير.(١) اهـ

تاسعا: قال أبو الحسن ابن العطار -رَحِمَهُ اللَّهُ-: فقوله -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- عند مروره بالقبرين: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ» دليل على إثبات عذاب القبر، وهو مذهب أهل السنة، وهو مما يجب اعتقاد حقيقته، وهو مما نقلته الأمة متواترًا؛ فمن أنكر عذاب القبر أو نعيمه فهو كافر؛ لأنه كذَّب الله تعالى ورسوله -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- في خبرهما.(٢) اهـ

عاشرا: قال أبو العون السفاريني -رَحِمَهُ اللَّهُ تحت "أمور بعد الموت"-: منها سؤال الملكين منكر ونكير، فالإيمان بذلك واجب شرعًا؛ لثبوته عن النبي -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- في عدة أخبار يبلغ مجموعها مبلغ التواتر، وقد استُنبِط ذلك واستُدِلَّ عليه بقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧﴾ [إبراهيم:٢٧].(٣) اهـ



(١) الاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي (١٧٢-١٧٥).
(٢) العدة في شرح العمدة (١/ ١٣٩-١٤٠).
(٣) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٥).

عذاب القبر ونعيمه يكون على الروح والجسد

قال شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: فاعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعَّمة أو معذَّبة، وأنها تتصل بالبدن أحيانًا؛ فيحصل له معها النعيم والعذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أُعيدت الأرواح إلى أجسادها، وقاموا من قبورهم لرب العالمين.(١) اهـ

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: وليس السؤال في القبر للروح وحدها، كما قال ابن حزم وغيره! وأفسد منه قول من قال: (إنه للبدن بلا روح)! والأحاديث الصحيحة تردُّ القولين. وكذلك عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة، تُنعَّم النفس وتُعذَّب مفردة عن البدن ومتصلة به.(٢) اهـ

وقال الإمام محمد بن علي الشوكاني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: قد ثبت بالأحاديث المتواترة عذاب القبر لمن يستحقه، ومعلوم أنه لا يُعذَّب إلا وروحه معه وإدراكه، ولو لم يكن كذلك لكان العذاب الواقع على مجرد الجسم بلا روح ولا إحساس ليس بعذاب، لأن إدراك الألم واللذة مشروط بوجود ما به الإدراك، وإلا فلا إدراك لمن ليس له حياة، ولا إحساس لمن لا روح له، وهذا أمر معقول لا يخالف فيه من له أدنى تعقل، فضلًا عن من له التعقل التام والإدراك الصحيح.(٣) اهـ

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨٤).

(٢) شرح الطحاوية (٣٩٥).

(٣) الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني (٢/ ٦٢٢).

عذاب القبر ونعيمه يشمل كل من قبر أو لم يقبر

قال الإمام ابن قيِّم الجوزية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ومما ينبغي أن يُعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ؛ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قُبِر أو لم يُقبَر، فلو أكلته السباع، أو أُحرِق حتى صار رمادًا ونُسِف في الهواء، أو صُلِب، أو غرق في البحر، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور.(١) اهـ

وقال الإمام جلال الدين السيوطي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: قال العلماء: عذاب القبر هو عذاب البرزخ، أُضيف إلى القبر لأنه الغالب، وإلا فكل ميت إذا أراد الله تعالى تعذيبه ناله ما أراد به قُبِر أو لم يُقبَر، ولو صُلِب أو غرق في البحر، أو أكلته الدواب، أو حُرِّق حتى صار رمادًا، أو ذُرِي في الريح، ومحله الروح والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة، وكذا القول في النعيم.(٢) اهـ



---

(١) الروح (٥٨)، وبمثل هذا النص ورد عن ابن أبي العز الحنفي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في شرح الطحاوية (٣٩٦).

(٢) شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (١٨١).

(مسألة في سؤال الميت وعذابه إذا لم يُقبَر)

سُئل فضيلة الشيخ عبد العزيز ابن باز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

السؤال: يتبادر إلى أذهان كثير من الناس أن الميت إذا مات ولم يُدفَن في القبر؛ فإنه ينجو من عذاب القبر، فبماذا تنصحون من يفكر هذا التفكير؟ جزاكم الله خيرًا.

الجواب: الميت يُسأل سواء كان في قبره، أو في أي مكان، في الصحراء أو في البحار، أو في بطون السباع، هو مسؤول، والمسؤولية للروح، والروح سالمة، فهو يُسأل ويُعذَّب إن كان شقيًّا، أو يُنعَّم إن كان تقيًّا، تُنعَّم روحه في الجنة، أو تُعذَّب في النار، وللجسد نصيبه الذي بقي منه عظام أو جلد، ما بقي من الجسد له نصيبه من النعيم أو العذاب على الكيفية التي يعلمها الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ولكن الْمُعْظَم على الروح في البرزخ، ويوم القيامة يجتمع العذاب على البدن والروح، وهكذا النعيم، إما في الجنة لأهل الإيمان والتقوى، وإما في النار كأهل الكفر بالله.

فالحاصل أن النعيم والعذاب للروح والجسد جميعًا، لكن في البرزخ مُعْظَمه على الروح، والجسد يناله نصيبه وإن كان في البحار، وإن كان في بطن السباع، وإن كان في أي مكان، فالروح لها نصيبها من النعيم أو العذاب مطلقًا، لكن في البرزخ الروح لها الحظ الأوفر من النعيم أو العذاب، ويوم القيامة يتوفر النعيم لأهل الإيمان للروح والجسد جميعًا، ولأهل الشقاء يتوفر العذاب للروح والجسد جميعًا، نسأل الله العافية، وهكذا العاصي له نصيبه إن دخل النار، فالعذاب للروح والجسد، وإن أنجاه الله فالنعيم للروح والجسد، وهكذا بعد الخروج من النار، فإن

العصاة كثير منهم يدخلون النار بمعاصيهم ويُطهَّرون، فإذا طُهِّروا من سيئاتهم بالعذاب أخرجهم الله إلى الجنة، فهم يُعذَّبون روحًا وجسدًا، ويُنعَّمون روحًا وجسدًا، ولا يخلد في النار إلا الكفرة، لا يخلد في النار الخلود النهائي الذي لا نهاية له إلا الكفرة، قد يخلد العاصي، كالزاني والقاتل قد يخلد خلودًا له نهاية، خلودًا طويلًا، يعني مدة طويلة، لكن له نهاية، كما قال الله سبحانه في القاتل والزاني: ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾[الفرقان:٦٩]، وقال في القاتل: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [النساء:٩٣] الآية، هذا خلود له نهاية، ليس مثل خلود الكفار، أما خلود الكفار -نعوذ بالله- فإنه لا ينتهي، كما قال الله تعالى في حقهم: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة:١٦٧]، وقال في حقهم سبحانه: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر:٣٦]، نسأل الله العافية.(١) اهـ



(١) فتاوى نور على الدرب (١٤/ ١٦٦-١٦٧).

عذاب القبر ونعيمه عقيدة متقررة عند أهل الفطر السليمة

وفي هذا الزمان يُروَّج لهذه الفكرة ترويجًا واسعًا في أوساط الناس فيقولون: (ليس هناك عذاب قبر)، وينشرون هذا في مواقع التواصل الاجتماعي، ويُلقُون الخطب والمحاضرات والكلمات، ويغرسون هذه العقيدة في أوساط الناس، يُنَشِّئون الأطفال على هذه العقيدة، وهم إنما يريدون من هذا الأمر نفي السنة، ويقولون: (لا نؤمن إلا بالقرآن)، فلو أنهم يؤمنون بالسنة لألزمتهم السنة بأحاديث كثيرة تُثبِت عذاب القبر، منها حديث ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- المذكور، ومنها حديث البراء بن عازب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- الذي فيه: «وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ...»، ويسألانه الأسئلة الثلاثة: «مَنْ رَبُّك؟.. مَا دِينُكَ؟.. مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟» ، ثم إذا كان مؤمنًا يَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فيقول: «مَنْ أَنْتَ؟» فيقول: «أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ»، وإذا كان كافرًا يَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فيقول: «مَنْ أَنْتَ؟» فيقول: «أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ».(١)

والأدلة التي تدل على ثبوت عذاب القبر كثيرة، وهذا الأمر فطري، وهو حاصل عند الناس من زمن قديم، الذين لم تغزُهم هذه الأفكار والعقائد الفاسدة، كالآباء والأجداد وكبار السن، الذين لم تتلوَّث فطرهم بهذه الفكرة، فكرة "نفي عذاب القبر"، فكانوا يُقِرُّون بهذا الأمر، بل وربما ارتكبوا أعمالًا فيها بدع، ولكن

---

(١) مختصر من الحديث الطويل الذي رواه أحمد، وقد سبق تخريجه.

هذه الأعمال تدل دلالة واضحة على أنهم يؤمنون بعذاب القبر، وأن هذه الفطرة متأصلة فيهم لا يخرجون عنها؛ فهي مغروسة في حياة كل مسلم فطرته سليمة، من هذه الأعمال أنهم كانوا إذا مات الميت وجاؤوا به إلى المقبرة وأدخلوه إلى القبر يأتون بألفاظ يزعمون أنهم يُلَقِّنون بها هذا الميت، فيقولون له: (يا فلان، يا عبد الله، يا ابن أمة الله، يرحمك الله، ذهبت عنك الدنيا وزينتها، وصرت الآن في برزخ من برازخ الآخرة، فلا تنس العهد الذي فارقتنا عليه في دار الدنيا وقدمت به إلى دار الآخرة، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإذا جاءك الملكان الموكلان بك وأمثالك من أمة محمد -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- فلا يزعجاك ولا يرعباك، واعلم أنهم خلق من خلق الله تعالى، كما أنك أنت من خلقه، فإذا أتياك وأجلساك وسألاك وقالا لك: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وما اعتقادك؟ وما الذي متَّ عليه؟ فقل لهما: الله ربي، فإذا سألاك الثانية: فقل لهم الله ربي، فإذا سألاك الثالثة وهي خاتمة الحسنى، فقل لهما بلسان طلق بلا خوف ولا فزع: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي، والقرآن الكريم إمامي، والكعبة قبلتي، والصلوات فريضتي، والمسلمون إخواني، وإبراهيم الخليل أبي، وأنا عشت ومت على قول لا إله إلا الله محمد رسول الله. تمسك يا عبد الله بهذه الحجة، واعلم أنك مقيم بهذا البرزخ إلى يوم يبعثون، فإذا قيل لك: ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم وفي الخلق أجمعين؟ فقل: هو محمد -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-، جاءنا بالبينات من ربه، فاتبعناه وآمنا به وصدقنا برسالته، فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم. واعلم يا عبد الله أن الموت حق، وأن نزول القبر حق، وإن سؤال منكر ونكير حق، وأن البعث حق، وأن الحساب حق، وأن الميزان حق، وأن

الصراط حق، وأن النار حق، وأن الجنة حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور. ونستودعك الله. اللهم يا أنيس كل وحيد، ويا حاضراً ليس يغيب، آنس وحدتنا ووحدته، وارحم غربتنا وغربته، ولقنه حجته، ولا تفتنا بعده، واغفر لنا وله يا رب العالمين. سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.) انتهى.

هكذا اشتهر هذا الذكر في كثير من البلدان الإسلامية، وهو ذكر ما أنزل الله به من سلطان، وهو من البدع والمخالفات، لكن الشاهد أن فطرتهم كانت على أنه يوجد عذاب قبر ونعيم، فهذا يدل بوضوح ويُثبِت لنا الفطرة السليمة والمستقيمة التي كانوا عليها في هذا الشأن بخلاف من حكموا العقل وتركوا النقل الصحيح فضلوا وزاغوا.

وكذلك من الأدلة التي تدل على ثبوت عذاب القبر قول النبي -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ-: «اِسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ، فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ»(١)، هذا التوجيه النبوي ثبت في السنة الصحيحة، وفيه دلالة على ثبوت عذاب القبر.

ووجه الدلالة في الحديث أن النبي -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ- أمر المسلمين بالاستغفار للميت والدعاء له بالتثبيت لعل الله تعالى أن يستجيب لهم فيُنَجِّي

---

(١) رواه أبو داود من حديث عثمان بن عفان -رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ- قال: كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ- إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ المَيِّتِ وَقَفَ عَلَيهِ فَقَالَ: «اِسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ...»، وصحَّحه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٣٧٦)

ميِّتَهم من عذاب القبر بتسديده في إجابة الأسئلة التي يلقيها عليه الملكان.

لكن هم يريدون الطعن في السنة، وعدم الأخذ بها، فكيف يفعلون؟ لأنهم إذا أثبتوا عذاب القبر سيُقحَمون، يعني ستكون السنة رادَّة عليهم، مع أنهم أيقنوا في نفوسهم بأنه يوجد عذاب قبر، حتى أنك تجد ذلك عند بعض عقلائهم، وقد يكون الكافر عاقلًا ولكن عقله لم يَقُدْه إلى أن يلزم الحق!

الآن في هذا الزمان هناك من يزعم أن الرافضة الحوثيين زيديُّة وهم -في الحقيقة في هذا الزمان- شيعة رافضة اثنا عشرية، الزيديَّة قد انقرضوا، فتجد أن بعض كبرائهم وبعض من يدعي أنه سيد منهم كانوا في الزمن القديم إذا مات الميت يجيئون إليه فيقولون له: (نريد منك بالبركة التي عندك والتي حلت بك -فأنت من نسب رسول الله- أن تأتي وأن تلقِّن لنا هذا الميت عبارات وكلمات يقولها إذا أُدخل القبر)، فيذهب معهم ويقف على قبر ذلك الميت ثم يهمهم بأذكار يزعم أنه يلقن بها الميت فإثبات عذاب القبر عند هؤلاء موجود، وإن نفاه بعضهم، فالكثير منهم يعتقده، وقد تفشَّت الآن عقيدة نفي عذاب القبر في هذا العصر على نطاق واسع، فالرافضة يُروِّجون لها في إعلامهم، وفي مجالسهم، ويُدرِّسونها في المدارس، حتى أنه تأثر بهم بعض العقلاء من المسلمين الذين يخالطونهم ويعيشون في أوساطهم، فهم يبُثُّون في أوساطهم شبهات تتخطَّفهم، ولأن الناس هرعوا إلى علوم الدنيا فصاروا يُقبِلون على المدارس والجامعات والكليات، وتركوا العلم الشرعي؛ فصار عندهم جهل في عقائدهم، ولهذا يتزعزعون عند بث الشبهات في أوساطهم، وهذا هو الواقع الذي يعيشه الناس في هذا الزمان، وخاصة في البلاد اليمنية، إلا من عصمه الله نسأل الله العافية!

بيان أن السنة مبيِّنة للقرآن والرد على منكريها

أهل البدع من معتزلة وعقلانيين وروافض شيعة ومن إليهم السبب الأهم في إنكارهم لعذاب القبر -كما ذكرنا- ردهم للسنة؛ فهم يقولون: (نحن إنما نعمل بالقرآن)، وهذه الشبه ليست وليدة اللحظة بل قد ظهرت طوائف في القرن الثالث الهجري يقولون لا نحتج إلا بالقرآن فاشتد نكير السلف الصالح لهم.

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في «إعلام الموقعين» (٤/ ١٨٨) ط: العلمية-: وَقَدْ كَانَ السَّلَفُ الطَّيِّبُ يَشْتَدُّ نَكِيرُهُمْ وَغَضَبُهُمْ عَلَى مَنْ عَارَضَ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ- بِرَأْيٍ أَوْ قِيَاسٍ أَوْ اسْتِحْسَانٍ أَوْ قَوْلِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ كَائِنًا مَنْ كَانَ، وَيَهْجُرُونَ فَاعِلَ ذَلِكَ، وَيُنْكِرُونَ عَلَى مَنْ يَضْرِبُ لَهُ الْأَمْثَالَ، وَلَا يُسَوِّغُونَ غَيْرَ الِانْقِيَادِ لَهُ وَالتَّسْلِيمِ وَالتَّلَقِّي بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَلَا يَخْطُرُ بِقُلُوبِهِمْ التَّوَقُّفُ فِي قَبُولِهِ حَتَّى يَشْهَدَ لَهُ عَمَلٌ أَوْ قِيَاسٌ أَوْ يُوَافِقَ قَوْلَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، بَلْ كَانُوا عَامِلِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾ [الأحزاب:٣٦] وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ۝٦٥﴾ [النساء:٦٥]، وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الأعراف:٣]، وَأَمْثَالُهَا، فَدُفِعْنَا إِلَى زَمَانٍ إِذَا قِيلَ لِأَحَدِهِمْ "ثَبَتَ عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا" يَقُولُ: مَنْ قَالَ بِهَذَا؟ وَيَجْعَلُ هَذَا دَفْعًا فِي صَدْرِ الْحَدِيثِ، أَوْ يَجْعَلُ جَهْلَهُ بِالْقَائِلِ بِهِ حُجَّةً لَهُ فِي مُخَالَفَتِهِ

وَتَرْكِ الْعَمَلِ بِهِ، وَلَوْ نَصَحَ نَفْسَهُ لَعَلِمَ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ مِنْ أَعْظَمِ الْبَاطِلِ، وَأَنَّهُ لَا يَحِلُّ لَهُ دَفْعُ سُنَنِ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - بِمِثْلِ هَذَا الْجَهْلِ. اهـ

قلت: ومن نماذج كلام السلف ما جاء عَنْ أَيُّوبَ السختياني - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ إِذَا سَمِعْتَ أَحَدَهُمْ يَقُولُ: لَا نُرِيدُ إِلَا الْقُرْآنَ فَذَاكَ حِينَ تَرَكَ الْقُرْآنَ. (١)

وعن أَحْمَدَ بْن حَنْبَلٍ وَسُئِلَ عَنِ الْحَدِيثِ الَّذِي رُوِيَ أَنَّ السُّنَّةَ قَاضِيَةٌ عَلَى الْقُرْآنِ فَقَالَ: مَا أَجْسَرُ عَلَى هَذَا، وَلَكِنَّ السُّنَّةَ تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ وَتُبَيِّنُهُ.

وعَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ فِي قَوْلِهِ ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء:٥٩] قَالَ: إِلَى كِتَابِ اللهِ، وَالرَّدُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - إِذَا قُبِضَ إِلَى سُنَّتِهِ.(٢)

فعجبا من هؤلاء الزائغين المنحرفين الذين لا يرون الاحتجاج بالقرآن، وقد أعمى الله أبصارهم، وختم على قلوبهم، وطمس على أفهامهم، وخفي عليهم بيان ربهم من أن السنة الصحيحة مبينة للقرآن لا تنفك عنه، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤]، وهذه الآية من أدلة ثبوت السنة، وهي تدل بوضوح على أن سنة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يُوحَى - مبيِّنة للقرآن، وأن من يؤمن بالقرآن ولا يؤمن بالسنة فهو كافر؛ لأنه فرَّق بين ما كان كله من عند الله، وبين ما كان معناه من

---

(١) انظر: كتاب الهروي «ذم الكلام وأهله» (٢/ ٥٨).

(٢) انظر: «ذم الكلام وأهله» (٢/ ٦٧).

الله ولفظه من النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- وهي السنة، فالسنة أوحاها الله إلى نبيه -وإن لم تكن باللفظ، وإنما معناها من عند الله تعالى- وأنزلها جبريل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- على نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، والله يقول ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[النساء:٧٨]، ويقول الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾﴾[النساء:١٥٠].

فهذه الآية صريحة في كفر من لا يحتج بالسنة، ويفرق بين ما هو كله من عند الله وهو الكتاب الذي لم يصلنا إلا من نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- والذي تلقاه الصحابة عنه وحفظوه ونقلوه إلينا كما أنهم نقلوا لنا السنة، فيلزم من ينكرون السنة أن ينكر القرآن.

فمن ينكر السنة لا مرجع له في دينه المبني على الهوى والتلبيس؛ لأنه لو عقل لفهم أن الذي جاء بالقرآن حتى وصل إلينا هو نفسه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- من جاءنا بالسنة، فما جاء به من قرآن وأحاديث في أبواب الدين كله من عند الله.

وكذلك مما يدل على أن السنة مبيِّنة للقرآن قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]، وقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، وقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧١]، وقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النور:٥٦].

والآيات التي ترد على من ينكر السنة من هؤلاء الزائغين كثيرة جدا، وما

علموا أن الكثير من أحكام الدين المذكورة في القرآن على جهة العموم إنما بينتها السنة على وجه الخصوص والتفصيل، فأنت ترى الصلاة والزكاة والحج والصيام مأمور بها في القرآن، لكن:

هل بيَّن القرآن أن الصلوات المفروضة خمس صلوات؟

هل بيَّن القرآن أن الصلاة لها هيئات معينة في ركوعها وسجودها؟

وماذا يقال في الركوع والسجود والتشهد في الصلاة؟

وماذا يقرأ المصلي؟

وكيف يسلم؟

وهل بين القرآن أركان الصلاة وواجباتها ومبطلاتها؟

الجواب: لم يبيِّن القرآن شيئًا من ذلك، وإنما بينتها السنة.

وكذلك الزكاة، ذكر القرآن الصلاة والزكاة في آيات كثيرة، ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[البقرة:١١٠].

فمن أين نعرف نصاب الزكاة؟

ومتى تجب؟

وما هي أصناف الزكاة؟

فالله ذكر بهيمة الأنعام، والسنة بينت أن نصابها من الإبل خمسا، ومن البقر ثلاثين، ومن الغنم أربعين، وأن الزكاة في الذهب والفضة نصابها ربع العشر إذا حال عليها الحول، وهكذا في زكاة الخارج من الأرض، والتفريق فيما إذا كان مما

سقت السماء العشر، وهكذا فيما يتعلق بالركاز وأن فيه الخمس .... إلى آخره

وليس هذا موضع بسط، وإنما هي أمثلة أردنا فيها بيان أن السنة بينت الكثير من الأحكام العامة التي ذكرها القرآن، وهكذا من هذا الباب ما يتعلق بالحدود فالقرآن بين أن السارق تقطع يده، فهل بين القرآن من أي موضع تقطع؟ وكم هو القدر الذي إذا سرقه السارق تقطع يده؟ والأمثلة كثيرة لا تستوعبها مجلدات في هذا الباب، إنما هذه أمثلة تبين أن الرد للسنة هو رد للقرآن، بل رد لعبادة الله وطاعته، وهذا يعني أنك لا تعبد الله على ما أراد الله عَزَّوَجَلَّ، فالذين يردُّون السنة كفار، ولهم بردِّهم للسنة مآرب كثيرة، ومن مآربهم أنهم يريدون الطعن في الصحابة -رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ-؛ لأن السنة أثبتت فضل الصحابة وأمرت بحبِّهم، وكذلك لأن السنة تضمَّنت كثيرًا من أمور العقيدة وكثيرًا من الأقوال والأفعال التي هم يخالفونها، ولو أنهم أثبتوا السنة لكان في ذلك ردٌّ عليهم، فهم ليسوا بمسلمين، لا القرآنيون مسلمون، ولا الروافض الشيعة مسلمون، فكلهم كفار زنادقة، نسأل الله العافية!

وقد رأيت أني أنقل كلاما للعلامة الألباني في هذا الباب فإنه مفيد وقد استفدته بعد مراجعة التفريغ للرسالة.

قال العلامة الألباني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «منزلة السنة في الإسلام» (٦) وظيفة السنة في القرآن تعلمون جميعا أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ اصطفى محمدا -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِۦوَسَلَّمَ- بنبوته واختصه برسالته، فأنزل عليه كتابه القرآن الكريم، وأمره فيه في جملة ما أمره به أن يبينه للناس، فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [النحل:٤٤]. والذي أراه أن هذا البيان المذكور في هذه

الآية الكريمة يشتمل على نوعين من البيان:

الأول: بيان اللفظ ونظمه، وهو تبليغ القرآن وعدم كتمانه، وأداؤه إلى الأمة كما أنزله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على قلبه -صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ-، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة:٦٧]، وقد قالت السيدة عائشة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا- في حديث لها: ومن حدثكم أن محمدا كتم شيئا أمر بتبليغه فقد أعظم على الله الفرية. ثم تلت الآية المذكورة. أخرجه الشيخان. وفي رواية لمسلم: لو كان رسول الله -صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ- كاتما شيئا أمر بتبليغه لكتم قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾[الأحزاب:٣٧].

والآخر: بيان معنى اللفظ أو الجملة أو الآية الذي تحتاج الأمة إلى بيانه، وأكثر ما يكون ذلك في الآيات المجملة أو العامة أو المطلقة، فتأتي السنة فتوضح المجمل وتخصص العام وتقيد المطلق، وذلك يكون بقوله -صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ- كما يكون بفعله وإقراره ضرورة السنة لفهم القرآن وأمثلة على ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة:٣٨] مثال صالح لذلك، فإن السارق فيه مطلق كاليد فبينت السنة القولية الأول منهما، وقيدته بالسارق الذي يسرق ربع دينار، بقوله -صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ- : «لا قطع إلا في ربع دينار فصاعدا» أخرجه الشيخان.

كما بينت الآخر بفعله -صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ- أو فعل أصحابه وإقراره فإنهم كانوا يقطعون يد السارق من عند المفصل كما هو معروف في كتب لحديث وبينت

السنة القولية اليد المذكورة في آية التيمم: ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۚ﴾ [النساء: ٤٣]، [المائدة: ٦] بأنها الكف أيضا بقوله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ-: «التيمم ضربة للوجه والكفين» أخرجه أحمد والشيخان وغيرهم من حديث عمار بن ياسر -رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا-.

وإليكم بعض الآيات الأخرى التي لم يمكن فهمها فهما صحيحا على مراد الله تعالى إلا من طريق السنة.

[**الأول**:] قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام:٨٢] فقد فهم أصحاب النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ- قوله: (بظلم) على عمومه الذي يشمل كل ظلم ولو كان صغيرا، ولذلك استشكلوا الآية فقالوا: يا رسول الله أينا لم يلبس أيمانه بظلم؟ فقال -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ- : «ليس بذلك، إنما هو الشرك ألا تسمعوا إلى قول لقمان: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان:١٣]؟». أخرجه الشيخان وغيرهما.

[**الثاني**:] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ﴾ [النساء:١٠١] فظاهر هذه الآية يقتضي أن قصر الصلاة في السفر مشروط له الخوف، ولذلك سأل بعض الصحابة رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ- فقالوا: ما بالنا نقصر وقد أمنا؟ قال: «صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته». رواه مسلم.

[**الثالث**:] قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ [المائدة:٣] فبينت السنة القولية أن ميتة الجراد والسمك والكبد والطحال من الدم حلال فقال -

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - : «أحلت لنا ميتتان ودمان: الجراد والحوت» -أي: السمك بجميع أنواعه- «والكبد والطحال». أخرجه البيهقي وغيره مرفوعا وموقوفا وإسناد الموقوف صحيح، وهو في حكم المرفوع؛ لأنه لا يقال من قبل الرأي.

[الرابع:] قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الأنعام:١٤٥]. ثم جاءت السنة فحرمت أشياء لم تذكر في هذه الآية كقوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - : «كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير حرام». وفي الباب أحاديث أخرى في النهي عن ذلك. كقوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - يوم خيبر: «إن الله ورسوله ينهيانكم عن الحمر الإنسية فإنها رجس». أخرجه الشيخان.

[الخامس:] قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢] فبينت السنة أيضا أن من الزينة ما هو محرم، فقد ثبت عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - أنه خرج يوما على أصحابه وفي إحدى يديه حرير وفي الأخرى ذهب فقال: «هذان حرام على ذكور أمتي حل لإناثهم». أخرجه الحاكم وصححه.

والأحاديث في معناه كثيرة معروفة في الصحيحين وغيرهما. إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة المعروفة لدى أهل العلم بالحديث والفقه، ومما تقدم يتبين لنا أيها الإخوة أهمية السنة في التشريع الإسلامي، فإننا إذا أعدنا النظر في الأمثلة المذكورة فضلا عن غيرها مما لم نذكر نتيقن أنه لا سبيل إلى فهم القرآن الكريم فهما إلا

مقرونا بالسنة.

ففي المثال الأول: فهم الصحابة (الظلم) المذكور في الآية على ظاهره، ومع أنهم كانوا -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- كما قال ابن مسعود: "أفضل هذه الأمة، أبرها قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا"، فإنهم مع ذلك قد أخطئوا في ذلك الفهم، فلولا أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- ردهم عن خطئهم وأرشدهم إلى أن الصواب في (الظلم) المذكور إنما هو الشرك لاتبعناهم على خطئهم، ولكن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى صاننا عن ذلك بفضل إرشاده -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- وسنته.

وفي المثال الثاني: لولا الحديث المذكور لبقينا شاكين على الأقل في قصر الصلاة في السفر في حالة الأمن إن لم نذهب إلى اشتراط الخوف فيه كما هو ظاهر الآية، وكما تبادر ذلك لبعض الصحابة لولا أنهم رأوا رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يقصر ويقصرون معه وقد أمنوا.

وفي المثال الثالث: لولا الحديث أيضا لحرمنا طيبات أحلت لنا: الجراد، والسمك، والكبد، والطحال.

وفي المثال الرابع: لولا الأحاديث التي ذكرنا فيه بعضها لاستحللنا ما حرم الله علينا على لسان نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- من السباع وذوي المخلب من الطير.

وكذلك المثال الخامس: لولا الأحاديث التي فيه لاستحللنا ما حرم الله على لسان نبيه من الذهب والحرير.

ومن هنا قال بعض السلف: السنة تقضي على الكتاب. اهـ

قال ابن كثير -رَحِمَهُ اللَّهُ- في تفسيره ط: العلمية (١/ ٨)-: فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا

أَحْسَنُ طُرُقِ التَّفْسِيرِ؟

فَالْجَوَابُ: إِنَّ أَصَحَّ الطُّرُقِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُفَسَّرَ الْقُرْآنُ بِالْقُرْآنِ، فَمَا أجمل في مكان فإنه قد بسط فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، فَإِنْ أَعْيَاكَ ذَلِكَ فَعَلَيْكَ بِالسُّنَّةِ، فَإِنَّهَا شَارِحَةٌ لِلْقُرْآنِ وَمُوَضِّحَةٌ لَهُ، بَلْ قَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كُلُّ مَا حَكَمَ بِهِ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- فَهُوَ مِمَّا فَهِمَهُ مِنَ الْقُرْآنِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾﴾ [النِّسَاءِ: ١٠٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النَّحْلِ: ٤٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النَّحْلِ: ٦٤].

وَلِهَذَا قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ» يَعْنِي: السُّنَّةَ. وَالسُّنَّةُ أَيْضًا تَنزِلُ عَلَيْهِ بِالْوَحْيِ، كَمَا يَنْزِلُ الْقُرْآنُ؛ إِلَّا أَنَّهَا لَا تُتْلَى كَمَا يُتْلَى الْقُرْآنُ، وَقَدِ اسْتَدَلَّ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ، -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ عَلَى ذَلِكَ بِأَدِلَّةٍ كَثِيرَةٍ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ ذَلِكَ.



الرد على شبهة للرافضة ومن شابههم في نفي عذاب القبر

ينبغي على كل مسلم أن يعلم الرد على شبهات منكري نعيم القبر وعذابه، وهذا الأمر مهم للغاية، لكيلا يلتبس عليه الحق بالباطل، فلديهم شبه في نفي عذاب القبر، من أبرزها تحريفهم لقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يس:٥٢].

وهذه الآية يَعُدُّونها من أقوى الأدلة على نفي عذاب القبر ونعيمه.

والرد على هذه الشبهة من وجهين:

الأول: على جهة الإجمال.

الثاني: على جهة التفصيل.

أما على جهة الإجمال فيرد عليهم بأمرين:

الأمر الأول: أن الأصل عند النزاع في المسائل الشرعية رد المتنازع فيه إلى الله ورسوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-: لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٩].

ولقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾[النساء:٨٣].

ولقوله سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ

ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

ولقوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾[النور: ٤٨-٥٢].

فأوجب الله في هذا الآيات وغيرها مما لم يذكر على كل مسلم أن يرد ما حصل فيه النزاع إلى الله وإلى رسوله؛ ونفى الله الإيمان عمن لم يقبل هذا الأمر ويسلم له تسليما؛ لأن بالرجوع إليهما يعرف الحق من الباطل، وبه تحل المسائل المتنازع فيها، ويلمُّ الشمل، ويذهب الدغل من القلوب.

ومعلوم قطعا بأن المراد بالرد إلى الله: هو الرجوع إلى القرآن، وأن الرد إلى رسوله: هو الرجوع إليه إن كان حيًا، وإلى سنته بعد موته.

الأمر الثاني: رد المحكم إلى المتشابه.

من قطعيات الشريعة ومما هو معلوم عند أهل العلم من الدين بالضرورة، أن القرآن الكريم فيه آيات محكمات وأخر متشابهات، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[آل عمران:٧]

والناس في هذا الشأن ينقسمون إلى قسمين:

القسم الأول: أهل الزيغ والريب والعناد، وهم من يتبع المتشابه ويذر المحكم.

القسم الثاني: أهل الرسوخ في العلم والدين وهم الذين يردون المشابه إلى

المحكم، ولا يضربون الكتاب بعضه ببعض.

قال الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾[آل عمران:٧].

فحكم سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ على مبتغ المتشابه بأنه مريد للفتنة وأن قلبه زائغ، وأنهم لا هَمَّ له إلا ابتغاء تحريف القرآن، وضرب بعضه ببعض.

وحكم بأن الراسخين في العلم سبيلهم التسليم لآيات الله، والإيمان به، لأنهم يعلمون بأنها كلها: ﴿مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾[آل عمران:٧].

فشتان بين الفريقين: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾[الزمر:].

وعلى هذا فيجب أن تجمع الأدلة في المسألة الواحدة، ولا يأخذ المسلم بعضها دون بعض، أو يأخذ بعضها ويرد بعض، فإن هذا صفة أهل الزيغ ممن سماهم الله في الآية السابقة.

وفي مسألة عذاب القبر ونعيمه قد وردت آيات كثيرة في القرآن تدل على أن الإنسان في قبره دائر بين أمرين:

الأول: النعيم.

الثاني: العذاب الأليم. ولا ثالث لهما.

هذا في القرآن الكريم، وأما ما ورد في السنة النبوية عن رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ - فنصوص كثيرة جدًا بلغت حد التواتر في إثبات عذاب القبر ونعيمه، وهو ما أثبته القرآن مما يجري على الإنسان بعد موته.

ولا يمكن أن يقول قائل بوجود تعارض في القرآن أو في السنة أو بينهما؛ لأن الكل من عند الله، كما قال تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[آل عمران:٧] وما دام بأن الكل من عند الله فلا اختلاف فيه، لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[النساء:٨٢].

و أما من يزعم بأن ثمَّة اختلاف وتعارض بينهما فإنما ذلك راجع إليه هو، والسبب في ذلك إما قلة في علمه، أو قصور في فهمه.

وقد زعم أهل الباطل بأنه قد جاءت آية في كتاب الله تدل على أن الميت في قبرة في حالة نوم فلا نعيم يجري عليه ولا عذاب.

ولبيان بطلان قولهم وفهمهم هذا نأخذ آية من كتاب الله -على سبيل المثال لا الحصر- وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾[آل عمران:١٦٩-١٧١].

ففي هذه الآيات يخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن حال الشهداء -وهم في عداد الموتى يقينا- وقد وصفت هذه الآيات الشهداء بعده صفات منها:

الأولى: أنهم أحياء.

الثانية: أنهم يرزقون.

الثالث: بأنهم فرحون.

الرابع: بأنهم يستبشرون بمن لم يلحق بهم.

الخامس: أنهم يستبشرون بنعمة الله وفضله.

وهذه الصفات لا يمكن أن يقول عاقل بأنها من صفات من هو نائم، بغض النظر عمن عنده أدنى مسكة من علم.

فهل يمكن بأن يرزق النائم؟

بل هل يمكن بأن يكون النائم فرحًا؟

وهل يمكن أن يكون النائم مستبشرًا؟

فهل يقول عاقل بأن هذه صفات من هو نائم؟

والسؤال لمن يزعم بأن الميت في قبره نائم: هل هذه الصفات تنطبق على النائم؟!

والجواب أتركه لهم.

الوجه الثاني: الرد عليهم على جهة التفصيل.

زعم أهل الريب والفتنة بأن العبد إذا مات فهو في رقاد، وأن أمره انتهى به إلى هذا الحد؛ فلا حساب ولا عذاب، ولا نعيم ولا جحيم، بحجة أنه يقول حين بعثه: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ﴾ [يس:٥٢]، حتى يُقَال لهم(١): ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ

---

(١) **فائدة:** اختلف العلماء فيمن يُجيب على هؤلاء عندما يتساءلون بعد البعث بقولهم: ﴿مَنۢ

وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ [يس:٥٢]!

والجواب على هذه الشبهة أن يقال: هذه الآية قد بيَّن العلماء معناها وأجابوا عنها بأجوبة كثيرة.

منها: أن هذه القبور التي أُدخِلوا فيها هي مضجع لهم، لكن لا يلزم من كونهم مضطجعين فيها أنهم لا يُعذَّبون، فهم يُعذَّبون وإن كانوا مضطجعين، فالمرقد في هذه الآية يُقصَد به نفس القبر.

وقالوا: هذا من باب التشبيه، فإن قبورهم شُبِّهت بالمضاجع، وحالهم وهيئتهم شُبِّهت بالمضطجع؛ لكونهم فيها على هيئة الرقود، وهم في الحقيقة ليسوا بنيام، فالرقود الذي هنا ليس بمعنى النوم الذي لا يشعر بما يقع عليه، ولا أنه لا يدري بما يحل به، ولا أنه لا يقع عليه شيء من العذاب، وإنما شُبِّهت الهيئة التي هو عليها في قبره بهيئة الرقود فقط، فالتشبيه في الهيئة لا في الحقيقة.

ومن الأجوبة على هذه الشبهة: قول أهل السنة: لا يلزم من أنهم إذا كانوا في قبورهم مضطجعين أو في رقاد أنهم لا يُعذَّبون؛ فإنهم مع رقادهم يُعذَّبون بدلالة العقل، فأنت في الدنيا لك بيت تسكن فيه، ولك فيه غرفة معدة لنومك يسمى

=

بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس:٥٢]. على ثلاثة أقوال: **القول الأول**: أنهم المؤمنون. **القول الثاني**: أنهم الملائكة. **القول الثالث**: أنهم يُجيبون أنفسهم بأنفسهم بعدما يُوقنون -حينها- بصدق ما جاء به المرسلون. وقيل: هي من قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والمعنى: هذا الذي وعده الرحمن، وصدق فيه المرسلون، قد حق عليكم، ونزل بكم. [تفسير القرطبي (١٥/ ٤٢)، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٣٠)].

"مرقدا"، ولا يلزم من كونك فيه ألا يصيبك الحزن والغضب، وأنك لا تُضرَب ولا تتألم ولا تتوجَّع؟ وألا تصيبك أنواع من الأمراض وأنت فيه، فكل هذه الأمور تجري عليك وأنت في مرقدك هذا.

ومن هو في قبره كذلك تجري عليه مثل هذه الأمور فيعذب ويهان وهو في مضجعه ومرقده.

🙞 **ومن الأجوبة على هذه الشبهة** - وهو دليل عقلي أيضا-: أنه لا يلزم من كون الشخص نائمًا على هيئة المضطجع (الراقد) ألا يُعذَّب- فإنك قد تكون نائمًا فترى رؤيا مفزعة ومقلقة في منامك، كأنْ ترى -مثلًا- أنك وقعت في حفرة، أو أنك سقطت من شاهق، أو أنك أُدخِلت نارًا، أو أن أحدًا عذَّبك وضربك ومزَّق أشلاءك، كل هذا تراه في المنام؛ فتستيقظ وقد اعتراك التعب والألم والإرهاق، وقد يحصل لك الأرق، وقد تستيقظ وأنت في شدة من الفزع والهلع، مع أنك كنت نائمًا، ومع أن هذا الأمر كان مجرد رؤيا مناميَّة، إلا أنك شعرت بهذا العذاب الذي حصل لك في هذه الرؤيا المناميَّة!

وقد يرى نائم -مثلًا- أن أسدًا عضَّه، أو كلبًا عضَّه، أو أن أحدًا ضربه، أو أن أحدًا طعنه؛ فيستيقظ من شدة هول هذه الرؤيا التي حصل له بها هذا العذاب، فيجد ألم ذلك الضرب أو تلك العضة في جسده مع أنها مجرد رؤيا فقط، وهذا شيء مُجرَّب وواقع! إما أنه يجده حسيًّا فيقول: (استيقظت وأنا أجد في المكان الذي ضُرِبتُ فيه وجعًا شديدًا)، وإما أنه يجده معنويًا لشدة الأهوال ولشدة العذاب الذي حصل له في منامه سبب له التوتر والأرق فجعله يستيقظ وهو في نفسيَّة متعبة!

بل بعضهم يستيقظ وقد أصابه الجهد وهو يتصبَّب عرقًا، وكذلك تتتابع أنفاسه ويطلب الماء من شدة العطش، كل هذا نتيجة لما حصل له وهو راقد، فهؤلاء الموتى الذين يقولون يوم القيامة: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يس:٥٢]. لا يعني ذلك أنهم لا يُعذَّبون، فإذا كان النائم في الدنيا وهو على قيد الحياة بمجرد رؤيا مناميَّة يحصل له ما سبق من العذاب، فكيف لا يُعذَّب وهو راقد في قبره؟!

هذا هو وجه الرد عليهم، فإذًا الرد عليهم بالنسبة لهذه الآية -بإذن الله- سهل ومختصر، فلا يُسَلَّم لهم في أنهم يبقون في رقاد بلا عذاب ولا نعيم إلى يوم القيامة، بل المعنى مختلف عمَّا أرادوه للمعاني التي ذكرناها.

ومن الأجوبة على هذه الشبهة قول بعض العلماء -رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ- في تفسير هذه الآية: أنهم ينامون نومة قبل البعث ثم يُبعَثون، فلذلك يقولون: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يس:٥٢].

ومن الأجوبة على هذه الشبهة قول بعض العلماء -رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ- في تفسير هذه الآية: أنه إذا نفخ النفخة الأولى رُفِع العذاب عن أهل القبور، وهجعوا هجعة إلى النفخة الثانية، وبينهما أربعون سنة، فذلك قولهم: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يس:٥٢].

ومن الأجوبة على هذه الشبهة قول أهل المعاني: إن الكفار إذا عاينوا جهنَّم وما فيها من أنواع العذاب صار ما عُذِّبوا به في قبورهم إلى جنب عذابها كالنوم(١).

---

(١) تفسير البغوي (٧/ ٢١)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٤٢).

الخاتمة:

وهي نصيحة لطلاب العلم بالجد والاجتهاد في الدعوة إلى الله تعالى.

حريٌّ بطلاب العلم أن يكون لهم جِدٌّ واجتهاد ودراسة متقنة لمسائل الاعتقاد، فقد تنزل بلدة أو قرية أو مدينة أو مكانا فيه شبهات -ربما- عند عقلاء الناس من مدرِّسين ومعلِّمين ممن لا عناية لهم بطلب العلم الشرعي، فليست المسألة مقتصرة على بث هذه الشبهات في أوساط الرافضة الحوثيين أو في الأماكن التي يسيطرون عليها فحسب، لا، فهم يبثُّونها في قنواتهم، وفي شاشات التلفاز، ويبثُّونها في مواقع التواصل الاجتماعي، فتأثر بهم حتى من يعيش في الأماكن التي ليست تحت سيطرتهم، وهذا نَجِده! فقد يخرج طالب العلم والداعي إلى الله إلى بعض المناطق والقرى فيجتمع مع بعض الوجهاء والعقَّال ممن فيهم خير، وليسوا ممن قد تلطَّخ بفكر الحوثيين الرافضة الزنادقة، ولكن هذه الشبهات قد تخطَّفتهم بسبب قلة العلم وضعفه في أوساطهم، وبسبب انشغالهم لسنوات وراء الشهادات والدراسات الدنيوية، ولا عناية لهم بمسائل الاعتقاد؛ فالشبهات تخطَّفتهم فصاروا يتشككون، هذا يتشكك في السنة! وهذا يتشكك في ظهور المهدي المنتظر! وهذا يقول: ليس هناك عذاب قبر! وهذا يقول: ليس هناك أحاديث صحيحة! وهذا يسب الصحابة حتى وإن لم يكن رافضيًا! فالشبهات قد تفشَّت بشكل واسع، وانتشرت بشكل كبير بسبب هذه البليَّة وهذه الرزيَّة: التي هي الجوالات!

فمن خلال هذه الجوالات صار الكفر والزندقة والشرك والإلحاد والباطل والبدع والمنكرات تُنقَل والشخص متكئ على ظهره في زاوية من زوايا بيته تصله

الشبهات فيتلقَّفها ويتلقَّاها بكل سهولة ثم يعتقدها، وهذا يدل على أن هذه الجوالات خطيرة!

فأنت يا طالب العلم ليكن لك عبرة في واقع هؤلاء الناس الذين يعيشون في غفلة سحيقة، فهذه الجوالات أفسدت الأخلاق، أفسدت الطباع، أفسدت العقائد، أفسدت الفطر السليمة التي كان يعيشها الأبناء والآباء والبنات والنساء في البيوت، أفسدت الناس -واللهِ- ولوَّثت الفطر، وصارت الذنوب والمعاصي متفشية بينهم بشكل كبير، بل صارت الذنوب والمعاصي عندهم كأنها لا شيء يُذكَر، وتُقَرُّ على مسمع ومرأى من الناس دونها نكير! هذه الجوالات جرَّأت الناس وجعلتهم يُقِرُّون هذا المنكر، ولا يرونه شيئًا!

الغيرة على دين الله تعالى -ولله الحمد والمنة- ليست إلا عند أهل السنة، وعند من تأثر بهم من عوام أهل السنة، فإذًا الناس يحتاجون إلى طلاب العلم، يحتاجون إلى الدعاة، يحتاجون إلى المدرِّسين والمعلِّمين، فيا أيها الداعي إلى الله لا يحصلنَّ منك غفلة أو قصور، فإذا خرجت أو ذهبت يمنة ويسرة، كن داعيًا إلى الله في ذهابك وفي إيابك وفي سائر أحوالك، وأنت تركب في سيارة النقل ومعك عوام -في سفرك أو حضرك- أَلقِ عليهم مثل هذا الحديث الذي يُثبِت عذاب القبر، وعلِّق لهم عليه ولو بشيء يسير؛ فهذا من الدعوة إلى الله تعالى.

بعض الإخوة في الله تعالى يظن أن الدعوة إلى الله مقتصرة على خطابته؛ فتراه مُحجِمًا، لا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر، ينتظر حتى يحفظ رياض الصالحين، ثم بعد ذلك يخطب، ثم بعد ذلك يحاضر، أما الآن -في ظنِّه- فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس وظيفته! وكذلك المرأة تنتظر أن تكون طالبة

علم وداعية إلى الله، وبعدها ستنصح الجيران، وستنصح الأقارب، وستنصح من حولها ومن تلتقي بهن من النساء! فهذه غفلة، والعياذ بالله تعالى!

أنت يا طالب العلم تعتقد عقيدة سليمة، ولله الحمد والمنة، تحفظ فيها آية أو حديثًا فبيِّنها للناس، اِشرحها ولو بعبارة موجزة، ولو أن تذكر الآية فتقول: (يا إخوة، عذاب القبر ثابت بالكتاب والسنة، يقول الله تعالى عن آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ [غافر:٤٦])، حتى إذا كنت لا تستطيع أن تفسِّرها وأن تبيِّنها، فهذه إقامة حجة، وهذا بيان للناس، وهذا من الدعوة إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فليست الدعوة إلى الله مقتصرة على أن تقف على ميكرفون! بعضهم لا يريد أن ينصح ويوجِّه ويعلِّم إلا إذا أمسك الميكرفون، وهذا قصور! أنت قد تجتمع في مجلس مع أهل قريتك في مناسبة، أو مع أقاربك، أو مع بعض الناس في سفرك، أو تركب سيارة في حضرك وفيها أعداد من الناس؛ فاغتنم ذلك للدعوة إلى الله تعالى، أنت داعية إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ بلِّغ، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ [المائدة:٦٧]، وقال تعالى:﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت:٣٣].

هكذا ليكن طالب العلم، وليكن السني السلفي، هذا الخطاب لطلاب العلم، وللدعاة، وللمشايخ، وللرجال، وللنساء، ولمن كان متعلمًا، بل ولمن كان عاميًّا، ممن فطرته سليمة وعقيدته مستقيمة، أن يكون له عناية في نصح الناس وبيان العقيدة الصحيحة، وهكذا من ابتلي بمثل هذه الجوالات وله مجموعات واتساب،

أو له تلجرام، فلينشر منشورًا يتكلم عن عذاب القبر وبيان شبهات الذين يُنكرون عذاب القبر، انشر للعوام، انشر لأقاربك، انشر للمضافين عندك، وبهذا -بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- نكون قد تغلَّبنا على أهل الباطل، ونكون قد انتصرنا، والحجة معنا بفضل الله، والله ناصر لدينه، والله مظهر لدينه، فأنت بلِّغ وانصح وعلِّم ووجِّه وبيِّن للناس، فنحن نقول هذا الأمر لأنه -كما علمتم- تفشَّت العقائد الباطلة، وانتشرت بشكل كبير في هذا الزمان! يقوم بعضهم في مواقع التواصل الاجتماعي؛ فيشاهده أعداد من المسلمين من الفارغين الذين أضاعوا أوقاتهم في هذه الجوالات، تجد أحدهم عاكفا على الإنترنت ويمضغ القات ليس له شغل يشغله إلا هذا، وبين يديه هذا الجوال فيتابع من هبَّ ودبَّ، ومن هنا تُبَثُّ الأفكار الباطلة والشبهات الخطافة، وتتوسَّع بشكل كبير!

فالمسؤولية على عواتق أهل السنة كبيرة جدًّا، والمسؤولية ينبغي أن يستشعرها كل واحد منا، وهكذا علِّم أهلك، علِّم زوجتك، علِّم من يليك من أبنائك وبناتك، فقِّهْهُم في الدين، فربما تخطَّفتهم هذه الشبهات وأنت في قصور، أو في غفلة عنهم، والعياذ بالله تعالى!

هذا، وأسأل الله العلي العظيم أن يرينا -والمسلمين- الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه، إنه هو السميع العليم البَرُّ الرحيم وعلى كل شيء قدير.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

(تم بحمد الله تعالى).



الفهرس:

